wadod.org

الذخائر

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق

عدد خاص عن الغرب الإسلامي ـ الإصدار الثاني

في هذا العدد:

- لمحات في النثر الأندلسي ..... د. خالد لفتة باقر اللامي
- ثنائية الفن والتاريخ في شعر ابن الأبار ..... أ. الحسين الإدريسي
- الفقيه أبو سعيد بن القاسم بن أحمد بن لب ومنهجه في الفتوى..... د. مصطفى الصمدي
- خطبة طارق بن زياد بين الشك واليقين ..... د. سعد بوفلاقة
- جواب اعتراضات ابن العربي على شرح ابن السيد البطليوسي..... د.وليد محمد السراقبي
- كتاب التنبيه على شذوذ ابن حزم لأبي الأصبغ الجياني (ت٤٨٦هـ)..... د. سمير القدوري
- قريض عبد الكريم بن العربي بنيس في كتاب (السير والسلوك) لقاسم الحلبي الخاني ..... أ. جواد الرامي
- ابن هانيء الأندلسي ـ تأملات في سيرته وأدبه..... أ. حيدر محلاتي
- فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الشيخ محمد علي آل عصفور ـ بوشهر ـ إيران ..... الشيخ حبيب آل جميع
- حواشي وشروح الجامع البوني عند العلماء الموريتانيين..... أ. الشريف بن أحمد محمود
- كتاب (العروضي) وافتراضات المنجي الكعبي الخاطئة..... أ. هلال ناجي
- إصدارات ..... أ. حسن عريبي الخالدي

العدد الخامس عشر والسادس عشر ـ السنة الرابعة ـ صيف ـ خريف ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

wadod.org

جواب اعتراضات ابن العربي على شرح ابن السيد البطليوسي لديوان أبي العلاء المعري

وضعها: أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (ت ٤٢٨هـ / ٩٩٢م)

قرأها وعلق عليها: الدكتور وليد محمد السراقبي(*)

المؤلف:

هو أبو محمد عبد الله بن السِّيْد البَطَلْيوسي : نحوي ولغوي وأديب، كان الناس يتقاطرون إليه يغترفون من علمه، ويقرؤون عليه، كان ثقة ضابطاً.

قال عنه ابن خلكان : «فكل شيْ يتكلَّم فيه فهو غاية في الجودة»(١). ولد سنة ٤٤٤هـ في مدينة «بطليوس»، وتوفي سنة ٥٢١هـ في مدينة بَلَنْسية. خَلف كتباً كثيرة في اللغة، والآدب، والنحو، منها: المثلَّث، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب، والفرق بين الأحرف الخمسة، والحلل في شرح أبيات الجمل، وإصلاح الخلل الواقع في شرح الجمل، وشرح سقط الزند لأبي العلاء المعري . قيل عنه : «إنه أجود من شرح لأبي العلاء صاحب الديوان»(٢).

الرسالة:

تقع هذه الرسالة في خمس عشرة لوحة، وهو مكتوبة بالخط المغربي، ويضمها مجموع فيه ثماني عشرة رسالة(٣) لابن السيد البطليوسي، وهي أولى هذه الرسائل . وهي مما وقفه محمد الكفوي على علماء جامع الأزهر وطلبة العلم فيه في رواق «الأروام» .

وتحتفظ المكتبة المركزية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ أعلى الله بناءها ـ بصورة عنها، ورقمها (٤٣٢٥/ ف).

جاء على الصفحة الأولى من المخطوط : «هذه مجموعة تشتمل على ثمانية عشر مصَّنفاً

---

* أستاذ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ـ السعودية .

(١) وفيات الأعيان ١ : ٩٦ـ ٩٨ .

(٢) ترجمة ابن السيد في : الديباج المذهب : ١٤٠، وفيات الأعيان ١ : ٩٦ ـ ٩٨، تاريخ الأدب العربي لعمر فرّوخ ٥: ١٥٢ ـ ١٥٩، ودائرة المعارف الإسلامية ١ :١٠٩٢، والأعلام ٤: ٢٦٨، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ٨: ٢.

(٣) قربنا على الانتهاء من تحقيقها جميعها، وسنصدرها تباعاً، إن شاء الله .

wadod.org

من مصنَّفات العالم النحويّ، الفاضل الكامل، صاحب لتقرير والتحرير، الفقيه النحويّ، إمام العصر في المغرب، خاتمة المحقِّقين أبي محمد عبد الله بن محمد بن السَّيْد البَطَلْيوسي المغربي ـ رحمه الله رحمة واسعة أفادنا الله منه . . . . . وأعاد علينا من موائده فوائده، وفهمنا من درر زوائده».

وكتب في وسط الصفحة أيضاً : «وقَفه محَّمد الكفويُّ على علماء الأزهر وطلبة العلم له، ومقرّه برواق الأروام، تقبل الله منه بمنه وكرمه آمين».

وكتب في الجهة اليسرى من الصفحة تملُّك نصه : «من نعم الله سبحانه على أفقر الطلاب . . . . محمد إبراهيم بن أحمد الصادق العمري الحسيني النقشبندي اغفر اللهم له ولوالديه، وكن بفضلك . . . . . [1] عليه، وانفعه ومتعه بمطالعته وانفعه به وبسائر ما لديه من الكتب العلمية، بالنبي وآله وصحيفتيه . تم من نعمه سبحانه على عبده الكفوي، عفا عنه».

ثم صنع فهرست بالرسائل التي يضمّها هذا المجموع، وبلغ عددها ثماني عشرة رسالة، وجميع أوراق المخطوط ثمان وسبعون ورقة.

يبلغ عدد أسطر كل لوحة (٢٥) سطراً وتتراوح كلمات كل سطر بين (١٠ـ١٢) كلمة. وفي بعض الأوراق طمس لبعض الكلمات، ولا سيما تلك التي تقع في الهامشين القريبين من مفصل الكتاب، وأظن أن ذلك عائد إلىٰ مشقة فتح الكتاب على مصراعيه أثناء التصوير.

وموضوع الرسالة الرد على اعتراضات ابن العربي على ابن السيد في شرحه سقط الزند لأبي العلاء المعري، وهو دائرة حول تفسير بيت، أو خطأ في رواية، أو تصحيف في لفظ، أو غلط في ضبط .

يبدأ ابن السيد رده بقوله : «ورأيناك ـ أبقاك الله ـ لمَّا وصلت إلى قوله : . . .» أو «وجدناك لما وصلت بالمطالعة إلى قوله . . . .» فيذكر البيت الذي اعترض عليه ابن العربيّ، ويذكر موضع اعتراضه عليه، ثم يعمد إلى الرد على ابن العربيّ، وينتصر لقوله ويثبت صحة قوله الذي قال به، ويفند رأي ابن العربيّ، مستظهراً على ذلك بآي من القرآن الكريم، أو ببيت من الشعر، أو برأي لعلماء اللغة، أو غير ذلك .

---

(١) بياض في الأصل.

wadod.org

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما

أخبرنا الفقيه الثقة أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي

يقول الحمد لله حمدا يوافي نعمه فلت له فلت رضي الله عنك إن أول ما البدء به كل كبير وأحق ما يتيمن به كل أمر واستفتح به ذكر الله تعالى ثم الصلاة على رسوله المصطفى الزكي هذا ما يعرا وعلما ما تقصر عقولنا عن بلوغ أمدائه وأعرى البنا الاستبصار بقدره فلم نجد مثلا أقرب إلى القياس عليه فيما نشكره الغيث به العجز عن شكره نعمائه وتسلله أن يوفقنا إلى ما يزلفه إليه ويرضاه ونستعيذه من شماوس الصدور وسوء عواقب الأمور رأيت أرشدك الله منهج الحق ومحجته ومعقل من الذين تستمعون القول فيتبعون أحسنه أجزت أطال ابن العربي عليك في شرح شعر المعري ولسنا نحظر معارضة المعارض ونهاه فيه المنافيض إنما سبيل العلماء الغرض وقد علم كل ذي الفرقة ومنهم الرجل يرضى بجاراه كلما كفى المرء نبلان بغرة معاديه وإنما نحظر من أمر هذا الرجل وقفنا الله وإياك على الصالح العمل أنه تعسف وما انصف وجاء في المعارضة والبلاء بأشياء استكرهها فنابه الاستكراه وتدلل أنه وجدا بنا فسرها نابع الزبوان بالزيادة والنقصان وعاث بمكسورة الأوزان وشتت العين عما بها من الشين وشبه عليها في كم الكتاب وبين بهما وجه الصواب فأنه توهم عما الله أنا من الطائفة التي لا تفهم وزن الشعر ولا تحس شيئا من الكسر والنبر وكسر الراء وجر الراء من التابع في نحو الأحمر فكشته من قبل الموالي المصيب فتفضل أن وقع عليه في كسر الحساب فجعلها عشرة في مرتبة من لا يفهم وزن الشعر ولا يحس له نغمات ولولا أن يكون هذا الرجل وقفه الله مجرا من الإنصاف والاستبصار لما توهم عليه الجهل بالاعراب وكثير الاستعارة لصمتنا عن مراجعته صمت الرضى ولم تشأ عمل تصويب ليراجع

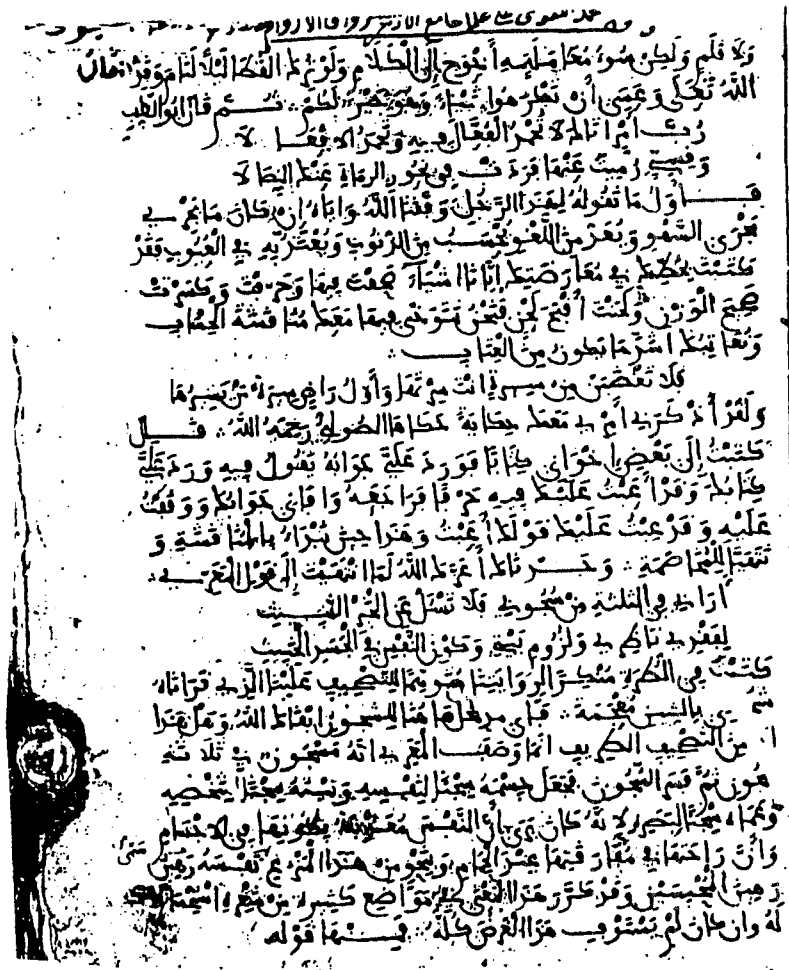

ولا فلم وليطن سوء معاملته أن يروح إلى الكلام ولو لم تكن الفكاهة لنا موفورة لكان الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ثم قال أبو الطيب

رب أيام لك مر العقال بها وتحرا كها بغضا

وقيد رميت عنها فرقت في بحور الرمادة عنك أيضا

فأول ما تقوله ليقرأ الرجل وقفنا الله وإياه إن كان ما يجري بجزء السمو ويعزم من اللغو يحسب بالزنوب ويعثر به في العيوب فقد كشفت بحكمك به معارضتك إياها شيئا فهمت بها وخرقت وتخرقت صميم الوزن ولكنت أقبح لحن فتحن تعرضي بها معها ما فشة الحساب وتقاتيلك أشرها بطون من العتاب

فلا تغضين من سيء فإنت بها وأول راض سيرها من يسيرها

ولقرأ أرشدك الله به تعلم حكاية حكاها الطوسي رحمه الله. قال كتبت إلى بعض إخواني طالبا فورد عليه بعوانه يقول فيه ورد علي طالبك وقرأ عليك عليك فيه ثم قرأ فراجعه وأتاني جوابك وقد قلت عليه وقرعت عليك قولك أعجبت وهذا حيث شرا بالمنا قشة والتقبيل للمحاسنة وحسرتك أعجلك الله لما انتهيت إلى قول المعري فيه

أراط في الثلثة من محبوبه فلا تسل عن الجم الغفير

يقول تأكيد وزوم تيه وكون النفس في النشر الغبيث

كتبت في الكم مشكرا الروايتا صرفها التصحيف عليها الزيد قرأتاه

من بالسين مهملة فأي مرجل هنا للشعور إبقاط الله وهل يقرأ من التصحيف الكبير أنها وصف المتيه بأنه ممعون في تلاشه

هون ثم قسم المعون فجعل جسمه يمثل نفسه ونسمه يمثل شخصه

وهما يمثل الشعر لأنه كان يرى أن النفس معرضة بطونها في الاجسام

وأن رائحتها مثار قيمة عشر الجام ويجوز من هذا المزج نفسه رديء

رديء الجنس فرط حرز هذا الغرض كله تواضع كثير من نظم أشعاره

له وإن كان لم يشعر في هذا الغرض كله فيها قوله

wadod.org

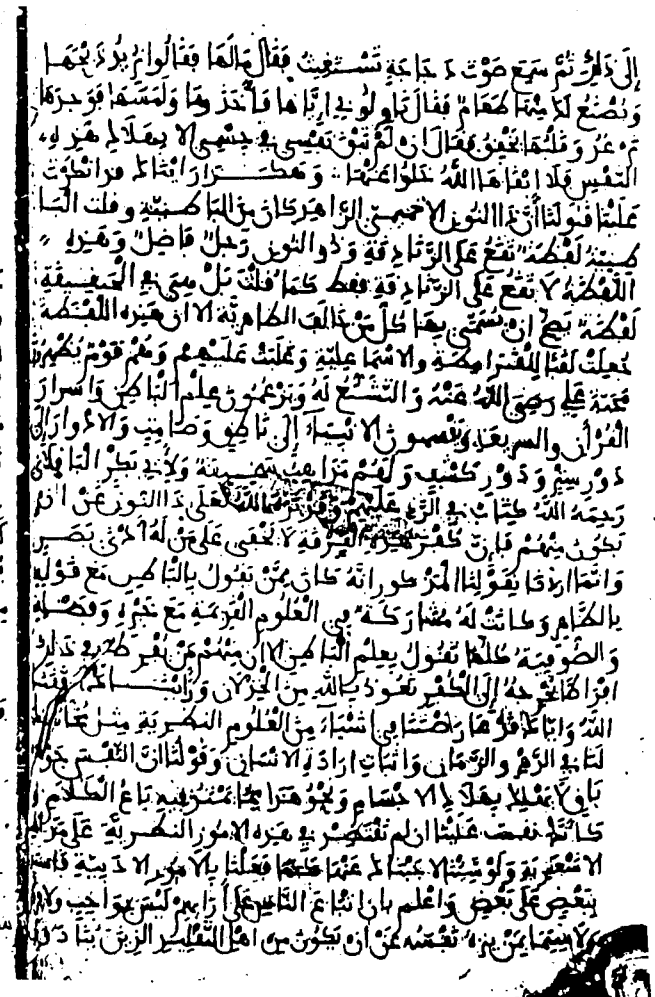

صورة الورقة الأخيرة

wadod.org

بسم الله الرحمن الرحيم

صلّى الله على محمد وآله وسلّم تسليماً

أخبرني الفقيه النحويُّ أبو محمَّد عبد الله بن محمد بن السِّيد البطليوسيّ بهذا الجزء قراءة مني عليه، قلت له: قلتَ ـ رضي الله عنك ـ : إنّ أولى ما ابتُدئ به كل ذكر، وأحْجى ما تُيمِّن به في كل أمر واستُنْجح، ذكر الله تعالىٰ، ثم الصلاة على رسوله المصطفىٰ الذي هدانا بهداه، وعلَّمنا ما تقصر عقولنا عن بلوغ أدناه، وأهدى إلينا الاستبصار مفروغاً منه، ولم يحوجنا إلىٰ البحث بالمقاييس عنه، نشكره شكر المعترف بالعجز عن شكر نعماه، ونسأله أن يوفقنا إلىٰ ما يزلف إليه ويرضاه، ونستعيذ به من وساوس الصدور، وعواقت الأمور.

رأيت ـ أراك الله منهج الحق وسَنَنَه، وجعلك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ـ اعتراضات ابن العربي[١] علينا في شرح شعر المعري[٢]، ولسنا ننكر معارضة المعارضين، ومناقضة المناقضين، فإنها سبيل العلماء المعروفة وطريقهم المألوفة: [من الطويل]

ومَنْ ذا الذي تُرْضَى سجاياهُ كلُّها كفى المرءَ نُبْلاً أن تُعَدَّ معايبُه[٣]

وإنما ننكر من أمر هذا الرجل ـ وفقنا الله وإياه إلىٰ صالح العمل ـ أنه تعسَّف وما أنصف، وجاء في المعارضة والخلاف، بأشياء استطرفتها غاية الاستطراف. وذلك أنه وجد أبياتاً أفسدها ناسخ الديوان، بالزيادة والنقصان، فعادت مكسورة الأوزان، ونَبَتِ العَيْن، عمَّا فيها من الشَّيْن، فنبَّه عليها في طُرَر الكتاب، وبين فيها وجه الصواب. كأنّه توهَّم ـ عفا الله عنه ـ أننا من الطائفة التي لا تقيم وزن الشعر، ولا تحسن شيئاً من النظم والنثر.

وكذلك وجد خطأً من الناسخ في بعض الأحرف، فظنَّه من قبل المؤلف المصنِّف، فتفضَّل بأن نبّه عليه في طُرَر[٤] الكتاب، فحصلنا عنده في مرتبة من لا يقيم وزن الشعر ولا يحسن الإعراب. ولولا ظن بنا هذا الرجل ـ وفقَّه الله ـ عجْزاً عن الانتصاف والانتصار، كما توهّم علينا الجهل بالإعراب وكسر الأشعار، لصمتْنا عن مراجعته صَمْتَ الرُّجَم، ولم نتشاغل بتصريف لسانٍ في مجاوبة ولا قلم. ولكن سوء معاملته أحوج إلىٰ الكلام، ولو تُرِك القطا ليلاً لنام. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وعسى أنْ تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم﴾ [البقرة ٢: ٢١٦]. ثم قال أبو

---

(١) هو محمد بن عبد الله المعافريّ الإشبيلي، أبو بكر بن العربي: حافظ للحديث، ولد في إشبيلية، وارتحل إلىٰ الشرق، وبرع في الأدب، له: أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، وقانون التأويل، وغيرها. وهو غير محيي الدين بن العربي. الأعلام ٦: ٢٣٠.

(٢) أحمد بن عبد الله بن سليمان التَّنوخي المعري: شاعر وفيلسوف، ولد في معرة النعمان سنة ٣٦٢هـ، وتوفي فيها سنة ٤٤٩هـ، ترجمته في: الأعلام ١: ١٥٧.

(٣) ينسب البيت إلى بشار بن برد، وإلىٰ يزيد بن محمد المهلبيّ (ت ٢٥٩هـ)، وهو في ديوان بشار ق ٥٥، ب ١٤ (ط. محمد بدر الدين العلوي)، وليس في ديوانه (ط. محمد الطاهر بن عاشور)، وهو في: المنتخب من معجم شيوخ السَّمعاني ١: ٥٢٠، ومغني اللبيب: ١٣.

(٤) الطُّرر: جمع طُرَّة، وهي الحاشية.

wadod.org

الطيب[١]:

[من الخفيف]

رُبَّ أمـــــر أتـــــاكَ لا تُحْمَـــــدُ الفُعَّـــــال فيـــــه وتَحمـــــد الأفعـــــالا
وقســـيّ رميـــتُ عنهـــا فـــرُدَّت فـــي نحـــور الـــرمـــاة عَنْهـــا النِّصَـــالا

فأوّل ما نقوله لهذا الرجل ـ وفّقنا الله وإيّاه ـ : إن كان ما يجري مجرى السهو ويعدّ من اللغو، يُحْسَبُ من الذنوب، ويُعْتدّ به في العيوب، فقد كتبت بخطك في معارضتك إيّانا أشياء صحّفت فيها وحرّفْت، وكَسَرتَ الوزن ولحنت أقبح لحنٍ، فنحن نتوخىٰ فيها معك مناقشة الحساب، ونعاتبك أشد ما يكون من العتاب: [من الطويل]

فـــلا تغضبَـــنْ مـــن سِـــيرةٍ أنـــت سِـــرْتَهـــا وأوّلُ راضٍ سيـــرةً مَـــنْ يسيـــرهـــا[٢]

ولقد أذكرني أمري معك حكاية حكاها الصُّوليّ[٣] ـ رحمه الله ـ قال: «كتبت إلى بعض إخواني كتاباً، فورد عليّ جوابه يقول فيه: ورد عليَّ كتابك وقد أعبت عليك حَرْفاً فراجعه. وافاني جوابك وقفت عليه، وقد عِبْتُ عليك قولك «أَعَبْت». وهذا حسن، تبدأ للمناقشة، وتهيّأ للمخاصمة».

وجدناك ـ أعزّك الله ـ لّما انتهيت إلى قول المعريّ[٤]: [من الوافر]

أُرانـــي فـــي الثـــلاثـــة مـــن سجـــونـــي فـــلا تســـأل عـــن الخيـــر النَّبيـــثِ
لفقـــدي نـــاظـــري ولـــزوم بيتـــي وكـــوْن النفـــس فـــي الجســـد الخبيـــثِ

كتبت في الطرة منكراً لروايتنا متوهماً للتصحيف علينا الذي قرأناه: «شجوني» ـ بالشين المعجمة ـ فأي مدخل ههنا لـ «الشجون» ـ أبقاك الله ـ ؟! وهل هذا من التصحيف الطريف؟! إنما وصف المعري أني مسجونٌ في ثلاثة سجون، ثمّ فسر السجون فجعل جسمه سجناً لنفسه، وبيته سجناً لشخصه، وعماه سجناً لبصره، لأنه كان يرى أن النفس معذبة كونها في الأجسام، وأن راحتها في مفارقتها عند الحمام. وبنحوٍ من هذا المترع سمّى[٥] نفسه رهين المحبسين.

وقد كرّر هذا المعنى في مواضع كثيرة من شعره استحساناً له، وإن لم يستوفِ هذا الغرض

---

(١) البيتان في ديوان المتنبي ٣ : ٢٥٨. الفُعَّال: الروم الذين أتوا بآلات الحرب.

(٢) البيت لخالد بن زهير، ونسبه ابن برّي إلىٰ خالد ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي، وكان أبو ذؤيب يرسل له إلى محبوبته فأفسدها عليه فعاتبه أبو ذؤيب فرد عليه خالد بأبيت منها الشاهد. والبيت في لسان العرب (سير)، وروايته: «فلا تجْزعنْ... فأوّل....» ـ السيرة: المنهج والطريقة.

(٣) إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحاق، ولد في بغداد، وأصبح كاتباً للمعتصم بالله والواثق والمتوكل. توفي سنة ٢٤٣هـ. له جملة من الآثار المطبوعة والخطوطة. ترجمته في: الأعلام ١ : ٤٥.

(٤) البيتان في اللزوميات ١ : ٢٤٩ (ط. دار صادر) ـ النَّبيث: العيب الظاهر. يقال: ينبث فلان عن عيوب الناس، أي يظهرها.

(٥) الكلمة ساقطة من المتن وكتبت في الهامش.

wadod.org

كلّه. فمنها، قوله[١]: [من الطويل]

أتحـــدثُ لـــلأرواحِ راحـــةُ مطلـــقٍ إذا فـــارقـــت، إنّ الجســـوم سجـــون؟

ومنها قوله[٢]: [من الطويل]

أتـــأســـى النفـــس للجثمـــان تبلـــى وهـــل يـــأســـى الخَنَـــا لفـــراق دَجْـــنِ

ومـــا ضـــرَّ الحمـــامـــة كســـر ضنـــكٍ مـــن الأقفـــاص كـــان أضـــر سجـــنِ

ووجدنا من لحنك وتصحيفك أنك لّما وصلت إلى قول المعري[٣]:

ولـــولا حِفـــاظـــي قلـــت للمـــرء صـــاحبـــي [بسيفـــك قيّـــدهـــا][٤] فلســـت أُبـــالـــي

أنكرت قولنا وكتبت في الطرَّة: قول ابن مقبل[٥] أقْعدُ به[٦]: [من البسيط]

يـــا صـــاحبـــيَّ علـــى ثَـــأدٍ[٧] سبيلُكمـــا علمـــاً يقينـــاً ألمـــا تعلمـــا خبـــري

إنـــي أقيِّـــدُ بـــالمـــأثـــورِ راحلتـــي ولـــا أبـــالـــي ولـــو كنَّـــا علـــى سفـــر

فاستطرفنا ما كتبته جداً، لأنك أردت أن تخطِّئنا من وجه واحد فأخطأت أنت من أربعة وجوه، أحدها: إنك كتبت «ثأد» بدالٍ غير معجمة، وهمزتَ الألف، وإنما هو «ثأج» - بالجيم غير مهموز، وهو ماءٌ لَخثعم[٨]. وفيه قول الشاعر[٩]: [من البسيط]

يـــا دار ميَّـــة بـــالخفتَيْـــن مِـــنْ ثـــاجِ سقيـــتِ أخـــلاف هـــامـــي الـــوَدْق ثجَّـــاج[١٠]

---

(١) اللزوميات٢: ٣٤١، وروايته:

«فـــإن كـــانـــت الأرواح بعـــد فـــراقهـــا تنـــال رخـــاء فـــالجـــوم سجـــون»

(٢) اللزوميات٢: ٣٨٨، ورواية الأول«..... وهل أسى الحيا الفراق دَجْن».

(٣) سقط الزند ٣: ١١٧٠، ق٥٨، ب٧. والحِفَاظ: رعاية الصحبة.

(٤) مطموسة في الأصل والتكملة من سقط الزند.

(٥) هو تميم بن أُبي بن مقبل، من بني عجلان، شاعر مخضرم، توفي سنة ٣٧هـ. له ديوان شعر حققه ونشره المرحوم الدكتور عزّة حسن. ترجمته في: الأعلام ١: ٨٧، ومقدمة تحقيق ديوانه.

(٦) البيتان في ديوان تميم: ٧٧، ق ١٠، ب١٨-١٩، والرواية فيه:

يـــا جـــارتـــيَّ علـــى ثَـــأجٍ طـــريقكمـــا سيـــراً حثيثـــاً ألمـــا تعلمـــا خبـــري

إنـــي أقيِّـــدُ بـــالمـــأثـــورِ راحلتـــي ولا أبـــالـــي ولـــو كـــن علـــى سفـــر

وهما أيضاً في شروح سقط الزند ٣: ١١٧٠، ١١٧١، وشرح الحماسة للتبريزي ٤: ١١٣ (ط. بولاق)، ومعجم ما استعجم ١: ٣٣٣، ومعجم البلدان (ثأج) ٢: ٧٠ - المأثور: السيف، سمّي به لأجل إثْره؛ أي فرنده. وقيل هو السيف الذي به أثر؛ أي ثلم. أقيدها: يضرب عراقيبها. قال الخوارزمي في شرحه البيت: «وقد ملّح في استعارته التقييد للعرقبة وأحسن حين قدّم قوله: بسيفك على قيّدها ليعلم في أوّل المر أنه يريد بالتقييد العرقبة». سقط الزند ٣: ١١٧١. وثأج، ثاج: ماء لبني الفَزَع من خثعم من مياه بيشة، وقيل: هو في ناحية اليمامة.

(٧) الثأد: الفُرُّ والنَدى، والثد: النبات الناعم الغض.

(٨) خَثْعم: قبيلة من معد، وهو خثعم بن أنمار، وقيل: خثعم اسم جبل سميت به القبيلة.

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) ثاج: يهمز ولا يهمز، عين قريبة من البحرين، وقيل، هي قرية في البحرين. مرّ بها بن أُبي بن مقبل على =

wadod.org

والوجه الثاني: إنك كتبت «يا صاحبيّ» وإنما هو «يا جارتيّ». كذا في شعر ابن مقبل. ويدل على صحة ذلك قوله قبل البيت[١]: [من البسيط]

قالت سليمى ببطن القاعِ من سُرُعِ[٢] لا خير في العيش بعد الشيب والكبرِ
واستهزأتْ تِربُها[٣] منيّ فقلت لها ماذا تَعيبان منّي يا ابنتيّ عَصَرِ
لولا الحياء وباقي الدِّينِ عبتُكما ببعضِ ما فيكما إذْ عبتما عَوَري
ما أنتما والذي خالَتْ حلومُكما إلا كَحيرانَ إذا تَسْري بلا قَدَرِ

ثم قال: يا جارتيَّ، وعني بالجارتين سُلَيْمى وتِربَها المتقدمة الذكر.

والوجه الثالث: إنك قلت: «ولو كنّا على سفري»؛ فأثبتّ ياءً بعد الراء، وكأنك توهمت أنه أضاف السفر إلىٰ نفسه، وتأنّقت في تعريف الياء غاية التأنق ليتحقق خطؤك غاية التحقّق. وليس بعد هذه الراء ياء على الإطلاق. وهي ياء تزاد بعد حرف الرويّ للترنّم إذا كان مكسوراً، كما تُزاد بعده واو إذا كان مضموماً، وألف إذا كان مفتوحاً. ولا تصوّر الخط من هذه الأحرف الثلاثة إلا ألف، وسبيلها سبيل التنوين، نحو قول جرير[٤]: [من الوافر]

أقلّي اللوم عاذلَ والعتابَنْ وقولي إنْ أصبت: لقد أصابَنْ

والوجه الرابع: إنّك قلت معنى بيت ابن مقبل: «أقعد» بمعنى بيت أبي العلاء. وهو لا يشبهه لا في ذكر التفسير بالسيف لاغير؛ لأن ابن مقبل أراد أن يعرقبها للأضياف جوداً وكرماً. وأراد المعريّ عرقبتها ضجراً من نزاعها إلى أوطانها وتبرّماً. وإن غلطك في هذا لعجيبٌ، لأن الشعر يدل على قلناه دلالة لا تخفى على متأمل.

ووجدناك من خطئك أنك لّما وصلت إلى قوله[٥]: [من الطويل]

فلولاك بعد الله ما عُرِفَ النّدى ولا ثار بين الخافقين قَتَامُ

أنكرت قولنا: إن الخافقين هما المشرق والمغرب، وكتبت في طرّة الكتاب لتعلمنا بوجه الصواب: المعلوم أنّ «الخافقان»: جانبا الأرض من الهواء، فأردت أن تخطئنا من وجه واحد فأخطأت أنت من ثلاثة أوجه، أحدها: إنك رفعت «الخافقين» وهما منصوبان بـ «أنّ». ثم صححت عليها فكان تصحيحك على اللحن أشد من اللحن. والوجه الثاني: أنك جعلت قولنا غير معروف وقولك هو المعروف. وهذا من المقلوب الذي قلناه نحن هو قول يعقوب بن

= امرأتين فاستسقاهما فأخرجنا له الماء، فلما رأتاه أعور منعتاه الماء. ثجّاج: كثير الماء.

(١) ديوان تميم: ٧٦ـ٧٧، والبيتان الأول والثالث في معجم البلدان (أسن، ونى)، والأول في معجم ما استعجم للبكري / ٧٣٥، ومعجم البلدان(سرح، سرع) واللسان(أنس، أسن). والبيت الثالث في اللسان (بعض).

(٢) سُرُع: موضع في البحرين.

(٣) التِّرب: المساوي في السن.

(٤) ديوان جرير: ٨١٣.

(٥) سقط الزند: ٦١٧، ق١٨، ب ٣١. القَتَام والغُبار واحد.

wadod.org

السكّيت[١] في إصلاح المنطق[٢]. وقال مثله أيضاً في كتابه «المثنّى والمكنّى والمبنّى»[٣]. وكذلك قال أبو عبيد[٤]، وأبو حاتم[٥].

وكذلك قال الأصبهانيّ[٦] في كتاب «أَفْعلُ من كذا»[٧] فقولك هو الذي ليس بمشهور لا قولنا. والوجه الثالث من خطئك في هذه المسألة أنك رأيت شيئاً ولم تحسن العبارة عنه، أو رأيته في كتاب من لم يحسن إيراده فحكيت قوله.

وحقيقة هذا ـ أبقاك الله ـ أن هذه المسألة من المسائل التي أنكرها بعض اللغويين على يعقوب وقال: لا يصحُّ أن يُقَال للمشرق والمغرب خافقان، لأن الخافق هو المتحرِّك المضطرب، والمشرق والمغرب لا يوصفان بالاضطراب، إنما يضطرب الهواء فيهما أوَّل الليل والنهار، فإنما ينبغي أن يقال لهما: مَخْفقان لا خافقان كما يقال لموضع الضرب مَضرِب، ولموضع الغرس: مَغْرِس.

وهكذا يقال للقفر الذي يخفق فيه السراب. قال رؤبة[٨]: [من مشطور الرجز]

ومَخْفِقٍ مِنْ لُهْلُهٍ ولُهْلُهِ

وهذا الذي قاله هذا المعترض على يعقوب حكاه من وجهين، أحدهما: إن يعقوب لم يقلْه وحده، بل قاله جماعة غير يعقوب. والثاني: أن العرب قد تأتي بالمفعول به والمفعول فيه على صيغة فاعل، كقولهم[٩]: ماءٌ دافق، وعيشةٌ راضية، وسرٌّ كاتم، ونهارك صائم، وليلك

---

(١) يعقوب بن السكّيت (١٨٦ـ٢٤٤هـ) لغوي أصله من خوزستان. من أهم كتبه: إصلاح المنطق. الأعلام ٨: ١٩٥.

(٢) إصلاح المنطق: ٣٩٧.

(٣) ورد عنوان الكتاب عند السيوطي «المثّى والمكنّى والمؤاخَى والمشبَّه والمنحَّل». وفي المزهر أقسام من الكتاب. ابن السكّيت اللغوي: ١٠٤ـ١٠٥، ولأبي سهل الهروي (ت٤٣٣هـ) كتاب «المكنّى والمثّنى». انظر مقدمة تحقيق إسفار الفصيح: ١١٩.

(٤) هو القاسم بن سلام الهروي (١٥٧ـ٢٢٤هـ): عالم بالحديث والأدب. الأعلام٥: ١٧٦.

(٥) سهل بن محمد السجستاني (....ـ٢٤٨هـ): عالم باللغة والشعر. الأعلام٨: ١٤٣.

(٦) وهو حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت٣٦٠هـ). أهم كتبه: الأمثال السائرة، والتنبيه على حدوث التصحيف.

(٧) صدر الكتاب مرتين، الأول بتحقيق د. عبد المجيد قطامش، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢. والثانية بتحقيق د. فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨. والقول في الأمثال السائرة ٢: ٥١٥، تح د.عبد المجيد قطامش و ٤٤٦ تح د. فهمي سعد.

(٨) ديوان رؤبة: ١٦٦،ب ٣٤، واللسان (لهله) مع بيتين آخرين. واللُّهْله: الأرض الواسعة يضطرب فيها السراب.

(٩) الكتاب ١: ٣٣٧، ٤٠١، والفصوص ٢، ٢٣، واللسان (دفق)، وخزانة الأدب ١: ٤٤٦، قال الفراء: «معنى دافق: مدفوق... وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم أن يفعلوا المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب نعت، كقول العرب: هذا سرٌّ كاتم، وهمٌّ ناصب، وليلٌ نائم. وقيل: ماءٌ دافق: أي ذو دَفْق، وسرّ كاتم: أي ذو كتمان».

wadod.org

قائم[١]. ولو جمع هذا النوع لجاء منه جزء ضخم، فمنه قول جرير[٢]: [من الطويل]

لقد لِمتنا يا أمَّ غَيلانَ في السُّرى ونمتِ وما ليل المطيِّ بنائمِ

وقرأت تفسيرنا له وجدتنا قد قلنا: إنه أراد أن الفلك محيط بالخلق والخَلْق قبضته لا يقدرون على الخروج منه، فكأنّه لم فيه من النجوم المشتبكة شبكة أرسلها قانص على صيد فهو يضطرب فيها ولا يقدر على التخلّص منها، فحملك قلّة التثبُّت على أن كتبت في الطرّة: هذا اللفظ لا يطلق إلا على الله ـ تعالى ـ ـ ونسيت قول الله ـ عزَّوجل ـ ﴿يا معشرَ الجنِّ والإنس إنِ استطعتم أنْ تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ [الرحمن ٥٥: ٣٣] فوصف تعالى أن الخلق في قبضة الفلك لا يقدرون على الخروج منه، فلم يزد الشاعر على معنى الآية أكثر من تشبيه بالشبكة. فإنْ أنكرت أن يكون الفلك هو السماء بعينها أو [. . . . .][٣] ذلك في القرآن العزيز. قال الله تعالى ـ جلَّ من قائل ـ: ﴿تباركَ الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ [الفرقان ٦١: ٢٥] وقال: ﴿ألمْ تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً والشمس سراجاً﴾ [نوح ١٦: ٧١] في هاتين الآيتين العزيزتين أن الشمس والقمر في السماء. ثم قال في آية أخرى: ﴿لا الشمسُ ينبغي لها أنْ تدركَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهار وكلٌّ في فلكٍ يسبحون﴾ [يس: ٤٥] فاستنتج من مجموع هذه الآيات أن الأفلاك السموات.

ولما وصلت إلى قوله[٤]: [من الطويل]

وإني لمثر يا بن آخرِ ليلةٍ وإن عَزَّ مالي فالقُنُوع ثراء

وجدت الناسخ قد عظَّم الراء فصارت كالنون فنبهت عليه في الطرّة أنها «مُثر» لا «مثن». فهلاّ تأملت ـ أبقاك الله ـ الشرح فيكون لك فيه كاف ومغن؟ ولكن صدق الله ـ تعالىٰ ـ إذ يقول: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ وكذا فعلت في مواضع كثيرة. كتبت الطرّة ما كنت غنيّاً عن كتابته لو تأملت الشرح كفعلك حين وصلت بالمطالعة إلى قول المعري[٥]: [من المنسرح]

بالله يا دهرُ أذقْ غرابَها موتاً من الصبح ببازِ كرْزِ

في نحو قولك: لألزمنَّك أو تقضيني حقّي، ولأسيرنّ[٦] في البلاد أو أستغنيَ، وقول امرئ

---

(١) في الكتاب ١: ١٦٠: «نهاره صائمٌ وليلهُ قائم».

(٢) ديوان جرير: ٩٩٣، ق٤٧، ب: ٦، والكتاب ١: ١٦٠، وخزانة الأدب ١: ٤٤٦.

(٣) بعض الكلمات لم أستطع قراءتها.

(٤) شروح سقط الزند، ق ١٠، ب ٥، ج ١: ٣٩٤. وروايته: «وإن عزّ مال. . . . . ». والمراد: يا ابن آخر ليلة من ليالي الطُهر. يقال: إن المرأة إذا حملت بالولد في آخر ليلة من طهرها كان مذموماً ويقال فيه: حملته أمه تُضْعاً ووضعاً. وإذا حملته في أول الطهر كان محموداً. والقنوع: القناعة. والمثري: المكثر من المال.

(٥) لم أقف عليه في آثار أبي العلاء.

(٦) طمس نصف الكلمة في الأصل.

wadod.org

القيس[١]: [من الطويل]

فقلتُ لـه: لاتبكِ عينُك إنَّما نحاولُ ملْكاً أو نموتَ فنُعْذرا

وكنّا رأيناك لمَّا وصلت بالنظر إلى قول المعري[٢]: [من الطويل]

فكأنّي ما قلتُ والليل طفلٌ وشبابُ الظَّلْماءِ في العنفوانِ

ليلتي هذهِ عروسٌ من الزنج عليها قلائدٌ من حُمَانِ

كتبت في الطرّة: «صوابه وروايته: والبدرُ طفل». وحكيت عن شيخك أنه فسَّره فقال: يعني أوّل الشهر. وقد رأيت هذه الرواية في بعض نسخ «السقط» فلم أعرج عليها وأنزلتها منزلة الغلط؛ لأنه كلام متناقض، وذلك أنه لا يصح أن يوصَفَ بالطفولِّية إلا الهلال، لأنه في أول نشئه.

وأما البدر فلا يجب أن يقال له: طفل، لأنَّ اسم البدر إنّما يقع في تمامه وامتلائه. فمن سمى البدر طفلاً كان كمن سمَّى الكهل صبياً، والتامّ ناقصاً، فلا يصحُّ أن يسمى البدر طفلاً ولا هلالاً، كما لا يصحُّ أن يسمى الهلال بدراً. وأمَّا الليل فإنَّه يشبه في أول انبعاثه بالطفل، وفي حين انتصافه واستحكام ظلامه بالكهل، وفي حال إدباره بالشيخ، وفي ذلك كثير من الشعر.

فمن مليح ما جاء في ذلك قول أبي فراس[٣]: [من الطويل]

لبستُ رداءَ الليلِ والليلُ راضِعٌ إلى أنْ تردَّى رأسُه بمشيبِ

فجعل الليل في أوله كالطفل الراضع، وفي آخره كالشيخ الأشيب.

وقد وصفه أبو العلاء بالاكتهال في قصيدة أخرى، فقال[٤]: [من الطويل]

من الزنجِ كَهلٌ شابَ مفرقُ رأسِه وأوثقَ حتَّى نهضُه متثاقلُ

وقد ألممتُ ببعض هذا المعنى استحساناً فقلت: [من الطويل]

ترى ليلَنا شابتْ نواصيه كِبْرةً كما شبتُ، أو في الجو روضُ نهارِ

كأنَّ الليالي الشفعَ في الأفْق جُمِّعتْ ولا فضلَ فيما بينَهنَّ لنهارِ

ومما يدلُّ على أنَّ ذكر البدر هنا غلط خروجه من التشبيه المذكور في البيت الذي بعده؛ لأنه شبه الليلة بسوداء، وشبَّه النجوم بقلائد الجمان، ولم يشبه البدر ولا الهلال بشيء.

ورأيناك قد زدتَ في القصيدة المهموزة بيتاً فاسد الوزن، وهو[٥]:

---

(١) ديوان امرئ القيس: ٤٢٥.

(٢) شروح سقط الزند: ق١٤، ب٦-٧، ج١: ٤٢٨، وروايته «. . . . والبَدْر. . . .». العنفوان: أول كل شيء ومقدَّمه. قال البطليوسي ١: ٤٢٩: «وجعل الليل طفلاً في هذا الموضع طفلاً لاقتباله. وقد جعله في موضع آخر كهلاً لما فيه من النجوم الشبيهة بالشيب.

(٣) ديوان أبي فراس: ٣٩.

(٤) شروح سقط الزند، ق١٦، ب٣٣، ق٢: ٥٤٥.

(٥) اللزوميات ١: ٤٨، والرواية: «أنت يا آدم. . . . . .». ـ السُّرب: القطيع من النساء والظباء ـ حواء: من اختلط=

wadod.org

[من الخفيف]

أنـــــت يـــــا آدَ! آدمُ السّـــــرب حـــــواؤك فيـــــه حـــــوّاء أو أدمـــــاءُ

وهذا البيت أسقطْناه من الشعر متعمّدين لإسقاطه لما فيه من الاستخفاف بآدم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهكذا فعلنا بكثير من شعره. وإنّما ذكرنا منه ما له تأويل حسن، فكيف أفسدت علينا الكتاب بإثباته فيه وكان يجب أن تتنزّه عنه كما تنزّهنا؟ وقوله: «يا آدَ!» أراد: يا آدم فرخّمه. وأما معناه فلا حاجة بنا إلى ذكره، فاذكره أنت إنْ شئت كما ألحقته. ورأيناك لما وصلت إلى قوله[١]: [من الخفيف]

هـــذه الشّهـــب خلتُهـــا شبـــكَ الـــدهـــر لهـــا فـــوق أهـــلِ إلمـــاءُ

فإنّك وجدت الباء من «باز» قد سقطت عليها نقطة فتوهمت أنا رويناه: «ناز» ـ بالنون ـ فكتبت في الطرّة: «صوابه بباز». فهلاّ قرأت الشرحَ فوجدت كلامنا على البازي، وتمثيلنا هذا البيت بقول تميم[٢] بن المعز؟:

وكـــأنَّ الصبـــاحَ فـــي الأفـــقِ بـــازٍ والـــدُّجـــى بيـــنَ مخلبيـــه غـــراب[٣]

ما هذا الحيف ـ أبقاك الله ـ في الحكم، والميل إلى حيّز الظّلم؟ أظننتنا جهّالاً بهذا القدر، كما توهمت أننا نكسر وزن الشعر؟ هلاّ دلّك كتابنا على أنّ لنا حظاً من كثير من العلوم، وتصرّفاً في الحديث منها والقديم؟ وقد ضمّنا معنى بيت المعري في شعر صنعناه، أيام الصّبا، وقبل أن يعظنا واعظ النّهي، ونحن نستغفر الله منه، ونسأله التجاوز عنه، وهو:

[من الكامل]

يـــا ربَّ ليـــلٍ قـــد هتكـــتُ حجَـــابَـــهُ بمـــدامـــةٍ وقَّـــادةٍ كـــالكـــوكـــبِ
يسعـــى بهـــا أَحْـــوى الجفـــون كـــأنَّهـــا مـــنْ خـــدّه ورضـــاب فيـــهِ الأشنـــبِ[٤]
بـــدران: بـــدر قـــد أمنـــت غـــروبَـــهُ يسْعـــى ببـــدرٍ جـــانـــح للمغـــربِ
فـــإذا نعمـــتَ بـــرشـــف بـــدرٍ غـــاربٍ فـــانعـــمْ بـــرشفـــة طـــالـــعٍ لـــم يغـــربِ
حتّـــى تـــرى زهـــر النجـــوم كـــأنّهـــا حَـــوْل المجـــرَّة ربـــرب فـــي مشـــربِ[٥]
والليـــل منعمـــزٌ يطيـــرُ غُـــرَابُـــه والصبـــحُ يطـــردُه ببـــازٍ أشهـــبِ

= بياضها بسواد.

(١) اللزوميات ١ : ٤٧، ب١٠ ـ الإلماء: أتن يلقي الصياد شبكته على صيده.

(٢) هو تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن محمد المهدي، ولد في تونس سنة ٣٢٧هـ، توفي سنة ٣٧٥ عن ثمانية وثلاثين عاماً. مقدمة ديوانه بتحقيق محمد حسن الأعظمي.

(٣) البيت في ديوانه: ٧٠.

(٤) الأحوى: الحُوّة: حمرة ضاربة إلى السواد. والأشنب: برد الفم والأسنان، ويقال: الشنب: حداثة الأسنان وطراءتها، وقيل: صفاؤها ونقاؤها.

(٥) الربرب: القطيع من الظباء.

wadod.org

ورأينالك ـ أبقاك الله ـ تصحيفاً طريفاً في قول المعري[١]: [من الطويل]

تحلّي بأسنى الحلي واحتلبي الغنى ... فأفضلُ مِنْ أمثالِك التَّفَر الشُّعْثُ[٢]

يسيرون بالأقدام في سُبل الهدى ... إلى الله حَزْنٌ ما توطَّأن أو وَعْثُ[٣]

وما في يدٍ قلبٌ، ولا أسوقٍ بُرىً ... ولا مفرقٍ تاجٌ ولا أذنٍ رَعْثُ[٤]

ثم كتبت عليه: «هذا وَهْم»، وصوابه: «واجتنى الغنا». وكتبت على الحَلْي: «الخلق»، وكتبت: المعنى مفهوم، وعليه يدلُّ ما بعده وخاصة الثالث من الأبيات. وليس لذكر الخلق واجتناب الغنى مدخل في هذا الشعر، ولا عُلمَ كيف قام ببالك أن البيت الثالث يدل على استحالة ذكر التحلي بالحلي واجتلاب الغنى في البيت الأول؟ إلا أن تكون توهّمت أنه نقا القلب و«البُرَا» والتاج، والرعث عن المرأة المخاطبة، وليس كذلك، وإنما نعني هذه الأصناف من الحلي عن النفر الشعث، وأراد بهم الحُجّاج فقال: الحُجَّاج الشُّعْثُ الذين لا يستعملون شيئاً من أصناف الحلي زهادةً في الدنيا، وانقطاعاً إلى الله ـ تعالى ـ أفضل منك ومن أمثالك ممَّن تحلَّى بالحلي، ويجتلب أخلاق الغنى ويظن الفضل في ذلك.

وكذلك فعلت في قول المعري[٥]: [من البسيط]

يا راعيَ المِصْرِ ما سوّمتَ في دَعَةٍ ... وعِرْسُك الشاةُ فاحذر جارك الذيبا

كتبت مكان في «دعةٍ» في «رغدٍ»، وليس للرَّغَد هنا مدخل، إنما هو تصحيف تصحّف من الدعة. ومعنى الشعر يقتضي «الدّعة»، لأنه يقول: يا راعي! أراك ترسل شاتك وتظن أنك في أمن من الذئاب، فكن على حذرٍ وخوفٍ لا على دعةٍ وأمنٍ، فإنَّ جارك ذئب يأكلها إن كان منك لها تسيّب. وأما قول المعري[٦]: [من الطويل]

هَجَرَ العراقَ تطرّباً وتغَرّباً ... ليفوزَ من سِمْط العُلا بغُرابهِ

فإني رأيتك قد أنكرت كسر (الغين) من «غرابٍ» وما فسّرناه، وكتبت في الطرّة: هو ضرب من الحلي: فليتك إذْ كتبت هذا زدت أنه مضموم الغين فيسلم اعتراضك من الخطأ. ولكنك شرحت «الغِراب» المكسور الغين بأنه نوع من الحلي فلم يقم اعتراضك بخطئك. وهذا النوع من الحلي إنما يقال له: عُراب ـ مضموم العين ـ وصورته صورة «الغراب» كما قالوا لنوعٍ منه: «أرنب» لكونه على شكل الأرنب، ولنوع منه: «نخلٌ» لكونه على شكل النخل.

---

(١) اللزوميات١: ١٨٦، ب٣ـ٥.

(٢) الشُّعث: مفردها أشعث وهو الذي لم يتعهد شعره بالدهن، والمراد هنا: الحجاج المحرمون للحج.

(٣) الحزن: ما غلظ من الأرض. الوعث: الليِّنُ من الأرض حتى تسوخ فيه القدم.

(٤) القُلب: الأساور. الأسوق: جمع ساق. والرَّعث: القرط.

(٥) اللزوميات ١: ١٠٢.

(٦) شروح سقط الزند: ق٢٨، ب١٣، ج٢: ٧٢٣ ـ السمط: ما يعلّق من القلادة على الصدر. والغراب: جمع غريب أو غريبة.

wadod.org

قال رؤبة[١]: [من مشطور الرجز]

وعُلِّقتْ مِنْ أرنَبٍ ونَخْلِ

وقد أولع الناس بروايته مضموم العين وعند نافيه رواية صرفتنا عن ذلك: أخبرنا أبو الفضل البغدادي[٢] شيخنا في شعر أبي العلاء، قال: جرى بيني وبين رجل ببغداد تشاجر في هذا البيت فضم «الغين» وأبيت أنا إلا كسرها، وقلت له: ليس للغرابِ الذي يراد به الحلي من الفضيلة ما يوجب تخصيصه بالذكر إنما الوجه بـ «غرابه» ـ مكسور الغين ـ أي أنه فاز بالغريب من الحلي الذي لا نظير له فيكون جمع غريب أو غريبة، وهو مدح لأنه يدخل في كل حلي نفيس. فذكر أنه بالضم، رواه عن المعري. قال: فلما لقيت المعري أخبرته بما جرى فقال: أنا مسرور لحسن فهمك، بورك فيك! الكسر أفخم للمعنى، وأمدح للغنى فلا تروه عني إلا هكذا.

ورأيناك لما انتهيت إلى قول المعري[٣]: [من الطويل]

وإنْ يكُنْ وادينا مِن الشعرِ واحِداً فغيرُ خَفِيٍّ أثْلُه مِنْ ثُمَامِه

أنكرت «الأثْل» وعوّضتَ منه «النبتَ»، وهذا تصحيف؛ لأن الثُمام نوع من النبت. وإنما كان يصحّ ما ذكرت لو كان النبت اسماً واقعاً على غير الثُمام. وإنّما يستقيم الذي قصده بذكر «الأثل»؛ لأن «الأثل» شجرٌ قوي، و«الثُمام» شجر ضعيف.

وكذلك لما وصلت إلى قول المعريّ[٤]: [من الرجز]

متى يقولُ صاحبي لصَّاحِبي بدا الظلامُ موجِزاً فأَوْجِزِ[٥]

ذكرت أنَّ الصوابَ «بدا الصباح»، وهو خطأ؛ لأنه قد ذكر الصباح في البيت الذي بعده، وهو قوله[٦]: [من الرجز]

ويطلعُ الصُّبْحُ وفوقَ جفنهِ منَ النجومِ حلية لم تُخْرزِ

وإنما أراد إشراف الظلام وأخذه في الانحقاز، فلذلك استعار له لفظة الإيجاز. ونحوٌ من

---

(١) ديوان: ق٤٩، ب١٠٠، ص: ١٣٠.

(٢) وهو محمد بن أبي سعد بن أحمد بن الحسن بن علي البغدادي: من بيت علم وإسناد، كان شيخ أصبهان، ولد سنة ٤٢٣هـ، وتوفي سنة٤٨٠هـ في بغداد. ترجمته في: المنتظم ٩: ٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٨: ٥٣٢.

(٣) شروح سقط الزند: ق١٥، ب٣، ج٢: ٤٧٤، والرواية فيه: «.... نبته من ثُمامه». الأثل: شجر قوي، وقيل: يقال له الطرفاء. والثُمام: شجر ضعيف يسمّى الحَلفاء.

(٤) شروح سقط الزند ٢: ٤٧٥.

(٥) شروح سقط الزند: ق١٣، ب٩، ج١: ٤٢٠، وروايته: «.... بدا الصباح .....». قال البطليوسي: «إنما قال صاحبي لصاحبي، لأن العبارة جرت من الشعراء بأنْ يصف الشاعر منهم أن له صاحبين». شروح سقط الزند١: ٤٢٠.

(٦) شروح سقط الزند: ق١٣، ب١٠، ج١: ٤٢٠ وروايته:

ويطلع الصبحُ وفوقَ جَفْنه منَ النُّجوم حلية لم تُخْرَزِ

wadod.org

قوله في قصيدة أخرى[١]: [من الطويل]

وقد أغتدي والليلُ يبكي تأسّفاً على نفسِه والنجمُ في الغرب مائلُ

فوصفه الليل بالبكاء على نفسه نظير وصفه بالإيجاز.

وكذلك لما وصلت إلى قوله[٢]: [من الطويل]

عَنْ عَالِجٍ باتوا بِرَمْلَةِ عالِجٍ في رَبْوتي عَوْدٍ كظَهْرِ العَالِجِ

ذكرت أنك رويته عن شيخك أي زكريا: «ربْوتي عورٍ» والأمر في هذا أمم؛ لأنه يحتمل الوجهين وليس كالتصحيفات المتقدِّمة.

وما روينا عن شيخنا أبي الفضل البغدادي وعبد الدائم القيرواني: «إلا ربوتي عَوْدٍ»، والعَوْدُ: الطريق القديم، شبّه بالعَوْد من الرجال والإبل وهو الكبير المسنّ، قال الراجز[٣]:

[من مشطور الرجز]

عَوْدٌ على عَوْدٍ على عَوْدٍ خَلَقْ

أي: شيخ مسن على جمل مسنٍّ على طريق قديم. ووصف الطريق بالسن إشارة إلى قدمه وبلاه من كثرة سلوك السالكين له، وما الذي أفذْتنا ـ أعزَّك الله ـ أن كتبت على قول المعري حين وصلت إليه[٤]: [من الطويل]

بأشنبَ معْسولِ الغريزة مُقْسِمٌ لسائِفِه إن القَسيمةَ مِتْفالُ

إن معطاراً أشبه من «مَعْسول». ونحن قلنا في شرحه: إن معطاراً أحسن لما فيه من الطباق، وهلا تأملته فلا تحتاج إلى تكلّف ما كتبته، إنما يستدرك على ما غلط فيه أو غفل عن ذكره.

وكذلك لمّا ووصَلْتَ إلى قوله[٥]: [من الطويل]

طويتَ الصِّبا طيّ السجلّ وزادني زمان له بالشيب حُكمٌ وإسجالُ

أنكرت (زادني) ـ بالدال ـ، وكتبت (وزارني) ـ بالراء ـ وما نعرفه إلا «زاد» ـ بالدال ـ

---

(١) شروح سقط الزند: ق١٦، ب٢٥، ج٢: ٥٣٨. قال البطليوسي: «وصفه الليل بأنه يبكي على نفسه تأسفاً من بديع اللاستعارة ومليح الإيماء والإشارة وذلك أن الليل لما كان قد أشرف على الزوال والنهار قد أخذ في الإقبال شبّه بالذي أشرف على حتفه فهو يبكي على نفسه». شروح سقط الزند٢: ٥٣٩.

(٢) اللزوميات ق٢٩، ب١، ج١: ٢٠٥، ورواية البيت: «عن لاعج.... الفالج» ـ اللاعج الحزن والوجد. والعالج: رملة بين ديار بني كلب. العَوْد: الطريق القديم. الفالج: الجمل ذو السنامين.

(٣) الرجز في شروح سقط الزند ٣: ١١٧٨، واللزوميات ٢: ٢٠٥، واللسان (عود).

(٤) شروح سقط الزند: ق٥٩، ب٢٤، ج٣: ١٢٣٧، والمتفال: ضد المعطار، وهي التي لا تستعمل الطيب. والقسيمة: جَوْنة العطر. والأشنب: فمها، وهو عطر بالطبع. والغريزة الطيب المستعمل. السائف: الشامّ، وساف الشيْ إذا شمّه.

(٥) شروح سقط الزند: ٥٩، ب٣، ج٣: ١٢٥٢، وروايته: «... وزارني...». الإسْجال: مصدر أسجل إذا عقد سجلاً. السجلّ: الكتاب، والكاتب أيضاً.

wadod.org

ومعناه صحيح. إنما أراد به طوى ثوبه صباه في حال الصغر، وزاده رغبة في طيّه الشيب الوارد عليه عند الكبر[١] فعفَّ في حالتي صغره وكبره وامتنع من نيل لذاته ووطره، وهذا معنى حسن؛ لأن النسك المحمود أن يعفَّ الإنسان[٢] في شبابه جديد ومحبوبه مطاوعٌ له على ما يريد، وذكر هذا في موضع آخر فقال[٣]: [من الطويل]

تشكَّيت بعدَ الأربعينَ ضرورةً ولم يبقَ إلا أن تقوم الصوارخُ
وكيف ترجّى أنْ تُثابَ وإنّما يفضَّل نُسْكُ المرءِ والمرءُ شارخُ[٤]

وأما كونها بمعنى العوض والبدل، فكقول طرفة[٥]: [من الطويل]

بما قدْ أرى الحيّ الجميعَ بغبطةٍ إذ الحيُّ حيٌّ والحلولُ حلولُ

وقول الآخر[٦]: [من الخفيف]

فلئن كنتَ لا تحير جواباً لما قدْ ترى وأنتَ خطيبُ

وأما تضمُّن بيت أبي العلاء لمعنى الجزاء؛ فوجهه أنْ يكون من المقلوب، وقد أراد أنه جعل لها الحرير خلالاً لما يخضبها نجيعاً؛ أي: يجيب إليها مجازاة على اختضابها بالدم في محاربة أعدائه.

والقلب كثير في الكلام المنثور والشعر المنظوم، كقولهم: أدخلت القَلنسوة في رأسي، وأدخلت الخاتم في إصبعي. وإنما الوجه: أدخلت رأسي في القلنسوة، وأصبعي في الخاتم. وكذلك يقولون: أعطي درهمٌ زيداً، والوجه: أعطي زيدٌ درهماً. ومنه قول الفرزدق[٧]: [من الطويل]

غداةَ أحلَّت لابنِ أَصْرم طعنةٌ حصينٌ عبيطات السرائف والخَمْرْ

وقد جاء المعري بهذا المعنى غير مقلوب في قصيدة أخرى: [من الطويل]

غذاهنَّ محمرُّ النجيعِ قَوارحاً بما قدْ غذَاهنَّ الضريبُ مِهَارا

كذلك وقع في بعض نسخ «سقط الزند»، وفي بعضها «كما». وقد يمكن أن يظن بيت المعري غير مقلوب فيكون قد أراد به الخير يختصّ بالنجيع في مرضاته مكافأة له على إحسانه إليها، ونحو قول أبي فراس الحمداني[٨]: [من الطويل]

---

(١) الكلمة غير واضحة وهي منسجمة مع السياق.
(٢) الكلمة مطموسة في الأصل ويقتضيها السياق.
(٣) ديوان أبي فراس: ١١٩.
(٤) الشارخ: الشّابّ.
(٥) ديوان طرفة: ٨٢.
(٦) البيت مجهول القائل وهو في شروح سقط الزند ١: ٦١.
(٧) ديوان الفرزدق ١: ٢٨٣.
(٨) ديوان أبي فراس: ١١٩.

wadod.org

عفـــافُـــكِ عَـــيٌّ إنمـــا عفَّـــة الفتـــى إذا عـــفَّ عـــن لـــذَّاتـــه وهـــو قَـــادرُ

وقال أبو الطيب المتنبي[١]:

يُـــردّ يـــداً عـــن ثـــوبهـــا وهـــو قـــادِرٌ ويعصـــي الهـــوى فـــي طيفهـــا وهـــو راقِـــدُ

ورأيناك ـ أعزّك الله ـ لما انتهى بك النظر إلى قوله[٢]: [من الطويل]

فـــذكّـــرنـــي بـــدرُ السمـــاوة بـــادنـــاً شقـــى لاح مـــن بـــدر السمـــاوة[٣] بـــالِ

أنكرت «السماوة» الثانية وكتبت: «السماوة» ـ بالهمز ـ فلمَ أنكرتها علينا؟ أحسبت أنَّها لا تقال أم حسبت أنها أليق بالبيت؟ وكلا الأمرين لنا الظهور عليك؛ لأن أهل اللغة حكوا أنه يقال: سماءٌ وسَمَاءَةٌ ـ بالهمز ـ وسَمَاوة بالواو، وسَمَاة على وزن «قَطَاة». فمن قال: سَمَاءة فهمز بناها على سماء كما هُمزت السماء. ومن قال: سماوة ـ بالواو ـ بناها على الفعل الذي هو سما يسمو. وهذا كما يقال: امرأة سقَّاءة وسقَّاية فمن همز بناها على سقَّاء ومن لم يهمز بناها على سقيت، فهذا ما فيها من طريق اللغة.

وأما من طريق الترجيح بين اللفظتين؛ فإن السماوة أحسن لوجهين، أحدهما: أنَّه أفصحُ اللغتين. لأنَّها أكثرُ استعمالاً، وأوسعُ مجالاً. ويدلُّ على ذلك أنهم قالوا في الجمع: سماوات، وبذلك قرأ القرّاء ولا يكادون يقولون: سماءات.

والوجه الثاني: أنها أليق بالبيت لما تقدّم في صدره من ذكر السماوة، فأفسدت على الرجل التجنيس الذي جرى إليه، وحام فكره عليه. فما هذا الخلاف والعناد؟! وأين النظر الحسن والانتقاد؟!

ورأيناك ـ أعزّك الله ـ لمَّا وصلت إلى قول المعري[٤]: [من الوافر]

ذكـــيٌّ[٥] القلـــب يخْضِبهـــا نجيعـــاً بمـــا جعـــل الحـــريـــرَ لهـــا خِـــلالا

قرأت شرحنا للبيت قراءة منتقدة، وتتبعته تتبع طالب للعثرات [. . . . . .[٦]] فوجدتنا قد

---

(١) ديوان المتنبي١: ٣٩٠. وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني مطلعها:

عـــواذل ذات الخـــال فـــيَّ حـــواســـد وإن ضجيـــع الخَـــوْد منـــي لمـــاجـــدُ

وقد علّق ابن جني البيت بقوله: لو قدر على أن يقول موضع قادر: يقظان أو مستيقظ لكان أجود في الصناعة، ولكنه لم يقدر. وردَّ أبو الفضل العروضي على ابن جني هذا النقد فقال: «وهذا النقد غير جيد؛ وذلك أنه لو قال: يقظان أو ساهر لم يزد على المعنى أنه تركها صلف نفس وحفظ مروءة لا عن عجز ورهبة. . .». نقلاً عن حاشية ٣ ج١ ص٣٩٠ من شرح البرقوقي.

(٢) شروح سقط الزند: ق٥٨، ج٣: ١١٩٧، وروايته: «السماءة». والسماوة: يقال لها سماوة كلب. وبدر السماوة: المحبوبة، والسماءة: السماء. وشفا الشيْ: بقيّته. البادن: السمين العبل الجسم.

(٣) قال الخوارزمي: «قال الفراء: السماء كأنها جمع سماوة وسماءة».

(٤) شروح سقط الزند: ق١، ب٢٥، ج١: ٦٠، وهو كذلك في ٢: ٦٤٠.

(٥) ذكيّ القلب: متوقد القلب. النجيع: الدم الطري. الجلال: يكون للواحد والجمع.

(٦) طمس لم أستطع قراءته.

wadod.org

قلنا: إنَّ هذه الباء تسمّى باء الجزاء وباء البدل وباء العِوض. فكتبت في طرّة الكتاب متوهِّماً أنّك ظفرت بثمرة الغراب: أين[١] الجزاء؟ وإنّما المعنى بأنه أكرمها بأنْ صيَّر جلالها حريراً استجاز أنْ يتبعها في الحرب حتى تختضب بالدم.

وقد أخطأت ـ أبقاك الله ـ من وجهتين: أحدهما: أنّا لم نرد أن هذه الباءَ تكون بمعنى الجزاء في كل موضع[٢]، وإنما أردنا أن نبين مواضعها من كلام العرب[٣].

والثاني: أن هذا البيت لا يستنكر أن يكون فيه معنى الجزاء مضمناً على وجه تذكره. أما كون هذه الباء بمعنى الجزاء فكقول العرب: «هذه بتلك والبادئ أظلم»[٤]. وقول الله تعالىٰ: ﴿ذلكَ بما قدَّمت يداك﴾ [الحج ٢٢: ١٠]. وكقولهم في المثل السائر: «يومٌ بيوم الخفض المجوّر»[٥].

فيكون كقول مالك[٦] بن نويرة[٧]: [من الطويل]

جـزانـي دوائـي ذو الخمـارِ وَصْنعتـي بمـا بـات أطـواءً بنـيّ الأصـاغـرُ

ورأينك ـ أكرمك الله ـ لما انتهيت بالقراءة إلى قول المعري:

ومـا زالـت الحُمُـر الـرواهـنُ للقِـرى تكشِّـف غُمَّـاتِ الـوجـوهِ الـروامـي[٨]

كتبت في الطرّة: «الصواب: الروامي». وهذا لفظة وجدناها مفسَّرة عن المعري أنها الثابتة المقيمة كما قال الشاعر: [من مشطور الرجز]

والمـاء والخبـز لهـنَ راهـنُ[٩]

وقوله: «للقرى» يبيِّن ذلك، أي أنّها محبوسة للقرى وقف عليه، كما قال الشاعر[١٠]:

---

(١) طمس بعض الكلمة ولعل الصواب ما أثبته!.

(٢) طمس بعض الكلمة ولعل الصواب ما أثبته!.

(٣) كتبت هذه الكلمة في النسخة الخطية على نحو تقرأ عليه: «الغراء»، ولست أجد لها مناسبة هنا.

(٤) ومنه قول أبي سفيان عند هزيمة المسلمين في أحد: «يوم بيوم بدر».

(٥) مثل أول من قاله الفرزدق. وهو في مجمع الأمثال ٢: ٤٠١ رقم ٤٥٨٩، والمستقصى ٢: ٣٨٨ رقم ١٤٢٧، وتتمته: «وهذه بتلك فهل جزيتك يا عمرو؟» وبرقم ١٤٢٨ وتتمته: «والبادي أظلم»، وهما مثلان يضربان في المجازاة، وفي ديوان طرفة: «هذا بذلك»، وفي شروح سقط الزند ١: ٦٠، ٢: ٦٤٠: «هذا بذاك».

(٦) شروح سقط الزند: ق١٩، ب٣٣، ج١: ٦٤٠، وروايته: «... الحليب...». والضريب: اللبن الذي يخلط حامضه بحلوه، وثخينه برقيقه.

(٧) البيت لمالك بن نويرة، وهو في شعره: ٦٩ وتخريجه ثمة.

(٨) طمس جزء من الكلمة.

(٩) اللسان (رهن)، وروايته:

«الخبـز واللحـم لهـن راهـنٌ وقهـوةٌ راووقهـا سـاكـبُ

وطعام راهن: مقيم.

(١٠) لم أقف عليه.

wadod.org

[من الطويل]

حَبَسْنا فلمْ تشرحْ ـ لكيلا يلومَنا ... لنفريه صبراً ـ معوَّدة الحبْسِ

وقول الآخر[١]: [من الطويل]

وأموالنا وقفٌ على مبتغى القِرى ... رواهن للمستنيخين وللجُمَّم

والمستنيخون: الذين ينيخون بالليل إذا لم يعلموا أين الحي .... الكلاب فيها فيهتموا بها. والجُمَم: جمع جمَّة، وهم القوم يسألون العون في الديات.

ولمَّا وصلت إلى قول المعري[٢]: [من الوافر]

زمانٌ لا يُنَالُ بُنُوهُ خَيْراً ... إذا لم يخْلطوه بالتمني

أنكرت «يخلطوه» وكتبتَ «يلحظوه» و«الخِلْط» بهذا البيت أليق من «اللحظ»؛ لأن التمني إنَّما هو «الكذب» فأراد أن الزمان لا يصل بنوه إلى الخير الذي يؤملونه حتى يمزجو الباطل بالحق، ويخلطوا الكذب بالصدق. وقد أوضح المعريّ هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال[٣]: [من الوافر]

تعالى الله فهْو بنا خبيرٌ ... قد اضطُرت إلى الكذبِ العقولُ

تقولُ على المجاز وقدْ علمنا ... بأنَّ القولُ ليسَ كما تقولُ

وقال آخر[٤]: [من الطويل]

تخلَّق مع الأقوام إن رمت ودَّهم ... بصدق وكذْبٍ خفية وعلانية

فإنَّ منَ الأقوام مَنْ إن صدقته ... طوى لك حقداً أو رماك بداهية

ورأيناك لما انتهيت إلى قول المعري[٥]: [من البسيط]

وقد[٦] تبيَّن قدري أنَّ معرفتي ... أبا الرضا سوف يرضيني عن القدرِ

ذكرت أن شيخك أبا زكريا إنما قرأه على المعري: «مَنْ تعلمين سترضيني عن القدر». ومثل هذا ـ أبقاك الله ـ لا يعدّ خطأ، إنما هو لفظ قاله أبو العلاء ثم غيَّره، كما غيَّر كنية الممدوح الذي مدحه[٧]:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) اللزوميات، ق٨٦، ب١٢، ج٢: ٣٨٥، وروايته: «..... إذا لم يلحظوه بالتمني».

(٣) اللزوميات، ق٢٣، ب١ـ٢، ج٢: ١٨٥.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) شروح سقط الزند، ق٨، ج١: ١٣٥، ب: ٢٣، ورواية عجزه: «... من تعلمين سترضيني عن القدر».

(٦) الكلمة مطموسة في المخطوطة واستكملت من السقط.

(٧) شروح سقط الزند: ق٢٧، ب٢٩، ج٢: ٧١١. ابن فلان: مجاز يراد به المصاحبة الملازمة. والعرب تقول: فلانٌ ابن الليل، وأخو الحرب، والمراد أنه ملازم له غير منفك عنه. وقوله أبا فلان: كناية عن الممدوح بهذا الشعر. شروح سقط الزند٢: ٧١٢.

wadod.org

أبـــا فـــلانٍ دعـــاك الله مقتـــدراً أبـــا المكـــارم وابـــنَ الضّـــارم الخَلِـــسِ

وكذلك فعل بأشياء كثيرة من شعره في آخر عمره. فمنها أشياء أسقطها بالجملة، ومنها ما ذكر بعضه وحذف بعضه. ومنها ما غيَّر لفظه إلى لفظ آخر استقباحاً له، كقوله في رثاء أبيه:

[من الطويل]

ورآهـــا سليـــلُ الطيـــن والشيـــبُ شـــامـــلٌ لهـــا بـــالثـــريـــا والسِّمـــاكيـــنِ والـــوَزْنِ

زمـــانَ تـــولَّـــتْ وأد حـــوّاء بنتهـــا وكـــم وأدتْ مـــن قبـــلِ حـــواءَ مـــن قَـــرْنِ

هكذا قال أولاً ـ فيما أخبرنا أبو الفضل البغدادي، ثم عوّض منه: «في إثر حوّاء».

ورأيناك أيضاً لما انتهيت إلى قوله[١]: [من البسيط]

بـــوقـــتٍ لا يطيـــقُ الليـــثُ فيـــه مســـاورةً، ولا الأيْـــمُ اختيـــالا

ذكرت أنك رويته عن شيخك أبي زكريا: «ولا السيِّد». وما ثبت في أصلنا الذي رويناه إلا «الأيمُ». ومثل هذا الخلاف لا يلتفت إليه.

ورأيناك لما وصلت بالتفح والنظر إلى قوله[٢]: [من الطويل]

والعَيْـــش أَيْـــنٌ وفـــي مثـــوى امـــرىء دَعَـــةٌ والله فَـــرْدٌ وشِـــرْبُ المـــوتِ مشتَـــركُ

ذكرت أن الصواب: «مَيْن» لا «أين». وهذا بيت ذكرناه في بعض كتب الشيخ كما ذكرت، ووجدناه في بعضها كما ذكرنا فاخترت «الأيْن» على «الميْن» ورأيناه أليق بذكر المثوى والدّعة. وإنما معناه أنَّ عيش الفتى كأنه وطنٌ له قد تودّع فيه وسكن كأنه من فراقه قد أمن ولم يفكّر في أنَّ كل ساكن في منزل فلا بد له أنْ يستقلّ عنه. أنّ شربَ الموت مشترك بين الخلق لا بدَّ لهم منه.

وهذا معنى نظر فيه أبو الطيب المتنبي[٣]: [من الطويل]

ذرِ النفـــسِ تـــأخـــذْ وسْعهـــا قبـــلَ بينِهـــا فمفتـــرقِ جـــاران دارهمـــا العُمْـــرُ

فجعل أبو العلاء العيش للإنسان وطناً كما جعل المتنبي العمر داراً، فلا يقال في هذا تصحيف وتحته معنى شريف. والمَيْن أولى بأن يكون صحيحاً؛ لأنَّ المثوى والدَّعة لا يلتئمان بالمين كالتئامهما بـ «الأين».

ورأيناك ـ أبقاك الله ـ قلت في قول المعري[٤]: [من الوافر]

عَفـــا أثـــري الـــزمـــان ومـــا أغَنَّـــتْ ضِبـــاعٌ فـــي المحلَّـــة تعتفينـــي

إنه أراد: ضباع في منزلي تأخذ عَفْوي ولم ترضَ قولنا: إنَّ معناه: «تقصد». وهذا خطأ من وجهين؛ أحدهما: أنَّه لا يقال: اعتفيتُ الرجل إذا أخذتَ عَفْوه، واعتفيتُه: إذا قصدته. والخطأ

---

(١) شروح سقط الزند، السفر الثاني، القسم الأول، ق، ب٧٩، ج١: ١١١. والأيم: الحيّة، وكذلك الأيْن. والمساورة: المواثبة.

(٢) اللزوميات، ق١١، ب٨، ج٢: ١٥٠.

(٣) ديوان المتنبي ٢: ٢٥٢.

(٤) اللزوميات، ق٨٩، ب٥، ج١: ٣٨٩.

wadod.org

الثاني: أن هذا التفسير لا يوافق معنى الشعر؛ لأنَّ المعري إنَّما أراد أنه فرّ من الناس واستتر في منزله، وإذا همْ ـ مع ذلك ـ واطئون إليه، مقتحمون عليه. ويدل على ذلك قوله قبل هذا البيت[١]: [من الوافر]

قد استخفيتُ كالجسدِ المواري ولكنَّ الطوائف تختفيني

ومعنى «تختفيني»: تستخرجني، فكيف توهَّمت أنه أراد ضباعاً في منزله تأخذ عَفْوه؟ وأين النقد والحسّ والزمن الزهق؟! هيهات ضاع ضيعة هبود ونام نومة عبود!

وهكذا رأيناك قد قلت في قوله: [من الطويل]

لقد مسختْ قلبي وفاتُك طائراً فأقسم ألا يستكنّ على وَكْنِ

أن الصواب: «لقدْ مسحتْ مني»، وإنما هو تصحيف نصحَّف، ولفظ تحرَّف. إنما أراد الشاعر أن قلبه لا يستقر خفقانه، كما قال عروة بن حزام[٢]: [من الطويل]

كأنَّ قطاةً عُلِّقتْ بجَناحها على كَبدي منْ شدَّة الخفقانِ

وقال المجنون[٣]: [من الطويل]

وداعٍ دعا إذْ نحن بالخِيف من مِنى فهيَّج أحزان الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنَّما أطَار بليلى طائراً كانَ في صدري

وهذا كثير في الشعر جداً. ومنه قول بشار بن برد[٤]: [من الوافر]

كأن فؤاده كرة تتَرَّى حذار البين لو نفع الحذارُ

ورأيناك لما وصلت بالقراءة والتصفّح إلى قوله[٥]: [من الكامل]

فإذا رأيت وليداً والنَّوى كَثْبٌ يومَ القيامة لم أعدِمْه تبكيتا

ذكرت أن رواية شيخك «قذف». وهذا من الألفاظ التي ذكر أن المعري غيَّرها في آخر عمره لما فيها من قبيح التأويل، والقال والقيل، لأنَّ الكثيب: القرْب، وهو الشيء القريب أيضاً، والقَذَف: ضده؛ فإذا قال: والنَّوى كثب؛ فإن فيه تقريب الأمر، وأنه مقامه اليوم أو الغد. وإذا قال قذف، ففيه استبعاد ليوم القيامة.

---

(١) اللزوميات، ٢: ٣٨٩، والرواية فيه: «ولكن الطوارق تختفيني».

(٢) ديوان عروة بن حزام: ١٣، ٣٢، وتاريخ ابن عساكر ٤٧: ٢٢٨.

(٣) ديوان مجنون ليلى: ١٦٢، ومسالك الأبصار ٩: ١٤٢.

(٤) ديوان بشار بن برد٣: ٢٢٤، وروايته:

كأن فؤاده يترى حذاراً حذار.....

وانظر اختلافات الرواية في هوامش ص٢٢٤.

(٥) سقط الزند، السفر الثاني، القسم الرابع، ق: ٦٧، ب: ٤٦، ص: ١٦٠٢، وروايته:

«فإن لقيت..... قذف....» ـ التبكيت: قطع الإنسان بالاحتجاج والمناظرة حتى لا يقدر على الجواب.

wadod.org

ورأيناك لما وصلت إلى قوله[١]: [من البسيط]

لا يـرقُـبُ المـوتَ مَـنْ كـان امـرأً فطِنـاً فـإنَّ فـي العيـش أرزاءً وأحـداثـا؟

وجدتنا قد فسَّرناه ما يطابق غَرَضه وفحواه فقلنا: يقول: لا يحبُّ العيشَ ويكره الموت إلا رجل لا يفهم حقائق الأمور. وأما مَنْ فهم الحقائق فإنه يرى أن الموت خير له من الحياة، وهو نحو قوله - عزَّ وجلّ -: ﴿يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ [الجمعة ٦٢: ٥]. فأخبر أن أولياء الله يحبون الموت ويتمنَّونه، فكتبت في الطرّة: هذا وهم قبيح، هذه معجزة لرسول الله - ﷺ - ذكرها ليهود فما منهم أحد تجرَّأ أن يتمنَّى الموت، ولو تمنَّوه أو تمنَّاه أحدهم لمات، وهذا اعتراض طريف. متى أنكرنا أنه معجزة للنبي - ﷺ - وما الذي أدخل ذكر المعجزة فيما نحن بسبيله؟

وإنما قلنا: إنّ في ضمن هذا الكلام إخباراً بأن أولياء الله يحبون لقاءه، وهذا ما لا ينكره مسلم. ولو لم تكن هذه صفة من صفات أولياء الله لما قامت بهذا حجة عليهم، ولكنه لما ادعوا أنهم أولياء الله قيل لهم: فتمنَّوا الموت كمن يتمنونه لتصحّ دعواكم. ولكن من يعتقد أن النفس عرض تنحلّ بانحلال الأجسام لا يتمنى لقاء الحِمَام، وإنما يتمنى لقاءه من هو واثق ببقاء نفسه بعد هلاك جسمه، وهو خفيف الظهر والآثام والأوزار؛ فإنه حينئذ يقول ما قاله بعض الفضلاء الأبرار[٢]: [من الطويل]

جـزى الله عنّـا المـوت خيـراً فـإنَّـه أبـرُّ بنـا مـن كـل بـرٍّ وأرأفُ

يعجِّـل تخليـص النفـوس مـن الأذى ويـدنـي مـن الـدار التـي هـي أشـرفُ

وفي قوله تعالى: ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدَّمت أيديهم﴾ [البقرة ٢: ٩٥] نبأ كافٍ، وإيضاحَ لهذا شافٍ.

فإن قيل: فكيف كره الأنبياء والفضلاء الموتَ مع معرفتهم بفضيلة الدار الآخرة، وما يصيرون إليه من الدرجات العالية؟ فالجواب: أنَّ كراهيتهم للموت ليستْ من أجل[٣] رغبتهم في الدنيا، وإنما ذلك لأمرين، أحدهما: ما يلاقون من غُصَصِ الموت[٤] وألمه وسكراته وغُمَمه. والثاني: أن في بقائهم صلاحاً للعالم، وكفاً لهم عن التعدي والتظالم، فهم يحبون أنّ يمد لهم في البقاء ليستكثروا من[٥] الأعمال، ويهتدي بهم أهل الزيغ والضلال فتكثر حسناتهم وتعلو درجاتهم[٦].

---

(١) اللزوميات، ق٧، ب١، ج١: ١٨٨.

(٢) لم أعرف قائلها.

(٣) الكلمات مطموسة واجتهدت في قراءتها وتبيّنها.

(٤) الكلمات مطموسة واجتهدت في قراءتها وتبيّنها.

(٥) الكلمات مطموسة واجتهدت في قراءتها وتبيّنها.

(٦) الكلمات مطموسة واجتهدت في قراءتها وتبيّنها.

wadod.org

وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لأنْ يهديَ الله ـ تعالى ـ رجلاً واحداً خير مما طلعت عليه الشمس»(١).

ولما وصلت إلى قوله(٢): [من الكامل]

لم يستريحوا من شرورِ زمانهم إلا بنقلهم إلى الأحداثِ

كتبت في الطرّة: «ديارهم أشبه». فليت شعري! فمتى صارت نسبة الشرّ إلى الديار عندك أحسن إلى نسبته إلى الزمان؟! وما هذا الانتقاء الذي ينبغي أن يكتبه في الحرق والأكباد؟

ولما وصلت إلى قوله(٣): [من الوافر]

كأنَّ الركضَ أبدى المحضَ منه فمجّ لبانه لبناً صريحا

وجدتنا قد قلنا في شرحه «إنما هذا لأنَّ عرق الخيل إذا جفَّ عليها ابيضَّ»، وأنشدتنا بيت الغنوي يصف الخيل(٤): [من الطويل]

كأنَّ يبيسَ الماء فوقَ متونها أشاريرُ ملْحٍ في جباء مجرّب

وأنشدتنا شاهداً آخر على ذلك قول بشر(٥):

تراها من يبيسِ الماء شُهْباً مخالطَ دِرّه منها غِرَار

كتبت في الطرة بقلم أحمر: «عرق: فرس الكندي مع كمتته». فما هذه الأعجوبة ـ أبقاك الله ـ متى وصف الكندي قط عرق فرسه أنه أحمر؟! إنما قال(٦): [من الطويل]

كأنّ دماءَ الهادياتِ بنحْرِه عَصَارةُ حِنّاء بشيبٍ مرجَّل

فشبّه حمرة دم الصيد على صدره بحمرة الحناء على الشيب، فانتقد هذا عليه بعض أصحاب المعاني وقالوا: إنما كان يصح تشبيه حمرة الدم على صدره بحمرة الحناء على المشيب لو كان الفرس أشهب. وقد ذكر الكميت في قوله(٧): [من الطويل]

---

(١) الحديث في صحيح البخاري: ٣٠٠٩، كتاب الجهاد والسير، باب (أفضل مَن أسلم على يد رجل) وروايته: «لأنْ يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النِعَم». وانظر: صحيح البخاري: ح٢٩٤٢، كتاب الجهاد والسير، باب (دعاء النبي ـ ﷺ ـ الناس إلى الإسلام والنبوة)، وفتح الباري ٦: ١٣٠.

(٢) اللزوميات ١: ١٨٩.

(٣) شروح سقط الزند: ق٥، ب١٩، ج١: ٢٥٤. الصريح من اللبن: الذي لم يخالطه ماء، والصريح من اللبن أيضاً: ما سكنت رغوته.

(٤) ديوان طفيل ق١، ب٢٧، ص٢٤، وشروح سقط الزند ١: ٢٥٤. والأشاير: القطع. مباءة الإبل: مبركها. المجرب: الذي أصاب الجرب إبله.

(٥) هو بشر بن أبي خازم الأسدي، والبيت في ديوانه: ق١٥، ب٤٨، ص٧٥، وشروح سقط الزند ١: ٢٥٤، والمعاني الكبير ١: ١٠، واللسان «يبس» ـ يبيس الماء: العرق الذي يجف. الشهب: جمع أشهب والشهباء وهو الأبيض والبيضاء. والمراد أن العرق يجف عليها فتبيض. والدرة: درة العرق، وهو خروجه من الفرس. الغِرار: قلة الدرة وانقطاعها.

(٦) ديوان امرىء القيس ١: ٢٦٦ ـ الهاديات: المتقدمات من الإبل. المرجل: المسرح.

(٧) نفسه١: ٢٤٩ ـ الكميت: الأحمر الذي داخله السواد. الحال: موضع اللبد.

wadod.org

كميتٌ يزل اللِّبدُ عن حال متنه كَما زلّتِ الصَّفواء بالمتنزَّلِ

فإذا صحّ أنَّه كان كُمَيتاً بطل التشبيه. فقال آخرون: إنَّما قال هذا؛ لأنّ الفرس عَرق ويبس العرق على صدره فابيضَّ فصار لذلك كالأشهب، كما قال بشر[١]:

تراها من يبيسِ الماءِ شُهْباً

فردّ عليه آخرون فقالوا: قد وصف امرؤ القيس فرسَه بأنَّه لم يعرقْ في قوله[٢]:

[من الطويل]

ولم ينضَحْ بماءٍ فيغْسَلِ

فبطل ما اعتذرتم به، فردّ عليهم خصماؤهم بأن قالوا: لم ينف عنه امرؤ القيس العرق في جميع الأوقات، لأنَّ ذلك عَيْبٌ في الفرس.

وإنَّما وصف أنه صاد قبل أن يعرق، وهذا لا يُبْطل أن يكون عرق. والدليل على أنه عرق بعد الصيد قوله[٣]: [من الطويل]

ورُحْنا وراحَ الطَّرف ينفضُ رأسه متى ما ترقَ العين فيهُ تسهَّلِ

ولم ينفه بعد.

واختلف أصحاب المعاني في اختضاب صدره بالدم على أي جهة كان؟ فقال بعضهم: أراد أنَّ راكبه لمَّا طعن الثور أو النعجة ثار الدَّمُ من الطَّعْنة إلى صدره فاختضب به. وقال آخرون: بل كانوا يخضبون قوائم الفرس أو صدره بدمِ صيدهِ ليعلم من يراه أنَّه قد صاد، واحتجّوا بقول امرىء القيس[٤]: [من الطويل]

وقام طوال الشخص إذْ يخضبونه قيامَ العزيز الفارسيُّ المنطَّقِ

وقال: [من الطويل]

فرُحْنا بهِ ينْضو الجيادَ عشيَّةً مخضَّبةً أرساغُهُ وعوامِلُهْ

ورأيناك لما وصلت إلى قول المعري في هذه القصيدة: [من الوافر]

ويوشعُ ردّ يوماً بعْضَ يَوْحٍ وأنتَ متى سفرت رَددتَ يوحاً

وجدت في الشرح أنَّ بعض النسَّابين ذكر أن يوشَع ابنُ أختِ موسى ـ صلى الله عليهما وسلم ـ فكتبت في الطرَّة: إنَّما هو عبد «موسى» في كتاب الله تعالى، وهذا شيء لا يلزمنا؛ لأنَّا لم ننكر أنَّه كان فتى «موسى»، وإنَّما حكينا ما قاله النسَّابون: فإنْ كان ما قالوه صحيحاً فليس في

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) بعض بيت لامرىء القيس، وتمامه:

فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكاً، ولم ينضح بماء فيغسل

(٣) ديوان امرىء القيس ١: ٢ ـ الطَّرف: كل شيء كريم من الفرس، والأنثى: طِرْفة.

(٤) البيت في ديوان امرىء القيس: ٦٣٨، ق٣٤، ب٣١ ـ المنطَّق: ذو المنطقة. العزيزُ الفارسيّ: شبّهه بالرئيس من الفرس المعظم عندهم.

wadod.org

كونه عبد «موسى» وفتاه ما يناقض ذلك ويأباه؛ لأنَّ العبد يسمَّى به غير المملوك، وذلك معروف في اللغة، كقول الشاعر[١]: [من الوافر]

نَعَـى النـاعـي الـزبيـرَ فقلـتُ تَنْعـي ... فَتـى أهـلِ الحجـازِ وأهـلِ نجْـدِ

خفيـفَ الحـاذِ، نسَّـالَ الفيـافـي ... وعبـداً للصحـابـة غيـرَ عبْـدِ

ورأيناك لمّا انتهيت إلى قول المعري: [من الوافر]

أفـوقَ البـدرِ يـوضـع لـي مِهـادٌ ... أمِ الجـوزاء تحـتَ يـدي وسـادُ؟

عارضنا في شرحه في موضعين، أحدهما: أنّا قلنا إنّ هذا استفهام يستدعى به تقرير المخاطب على أمر قد ثبت وعُرِف. والمراد أن ينبّه على أمر يتوقّع أنْ يكون ينكره، أو قد غَفل عنه، وأن يعجل توطئته ومقدمة لأمرٍ يرادُ إنتاجُه منه، فكأنّه قال: ألستُ قد اتخذت البدر مهاداً؟ ألست قد اتخذتُ الجوزاء وساداً، فلم تراضَ بقولنا، وأنكرت دخول «ألست» ها هنا، وما ذكرناه من معنى التوطئة والمقدمة[٢]، وكتبت في الطرة: هو استفهام فيه معنى التعجب من إعجابه بنفسه، ولا يقدر بـ «ليس»، وهي من حروف النفي. ولو تأملت ـ أبقاك الله ـ حقَّ التأمل لرأيت أنّك لم تأتِ بشيء غير ما قلناه؛ لأنَّ التعجب مضمّن فيما ذكرناه، ولم يرد أن لفظ البيت كما هو ويقدر بـ «ليس»، إنّما أردنا أن المعنى راجع إلى ذلك. وبيان هذا أنَّ حرف النفي إذا دخل عليه حرف الاستفهام دخل الكلام معنى التقرير، واستدعاء ما . . . . . المخاطب من إثبات لما يقرَّر أو . . . . ، والشيء المسؤول عنه ثابت في نفسه، ولكن يتوقع من المخاطب أن ينكره. فإذا قلت لمن تخاطبه: ألم أحسنْ إليك؟ فمعناه أتقول: إنّي لم أحسنْ إليك؛ فلذلك يقول هو في جوابه: «بلى» دون «نعم»؛ ليحقِّق الإحسان ويعترف به. ولو قال: نعم لحقَّق النفي وكان معناه: نعم: لم تحسنْ إليَّ. فإذا اعترف بإحسانك إليه قلت له حينئذٍ فلمَ لم تشكر ذلك؟ فتنتج له من التقرير استحقاق الملامة استيجاب العقوبة، ويتضمَّن الكلام معنى التعجب للسامعين من سوء معاملته إياك مع إحسانه إليك، وتوالي أياديك لديه.

وكذلك لو قلت له: ألستُ قد أحسنتُ إليك؟ لأفاد ذلك المعنى بعينه. فلما كان غرض المعري أن يعجب المخاطبين، ويقدّمه على مرتبته في الشرف آل معنى كلامه إلى معنى قول من يقول: ألست قد اتخذت البدر مهاداً؟ ألست قد اتخذت الجوزاء وساداً؟ فظهر كلامه راجعاً إليه

---

(١) البيتان في حماسة أبي تمام، حماسة رقم ٣٤٢، وفي شرحها للأعلم ١: ٥٠١، ونُسِب إلى كعب بن زهير وليسا في ديوانه، وفي شرحها للخطيب التبريزي ١: ٤٠٧، وبلا نسبة في شرح المرزوقي ٢: ٩٨١، ق٣٤١، والثاني في اللسان (حوذ).
الحاذُ: الحال، والمراد: خفيف الحال من المال، وأصل الحال: طريقة المتن من الإنسان. والحاذاتُ: أدبارُ الفخذين، وقيل: هو الظهر. النسَّال: قطّاع الفيافي مسرح فيها. عبداً للصحابة: هو كريم الصحبة، حسن التوفر على الرفاق.

(٢) شروح سقط الزند: ب١، ج١ ص٢٨١.

wadod.org

وإن كان ذلك غير ظاهر فيه. ومن هذا الباب قول جرير[١]: [من الوافر]

ألستمْ خيرَ مَنْ ركِبَ المطايا وأَنْدى العالَمين بطونَ راحِ

هو تقرير وتعجّب معاً فقال له عبد الملك بن مروان[٢]: بلى، نحن كذلك. ولو قال جرير: أنتم خير مَن ركب المطايا لكان جوابه: نعم، نحن كذلك. والمعنيان راجعان إلى غرض واحد، وإنْ اختلف الجوابان واللفظان.

فهذا الجواب عن اعتراضك الأول. وأما اعتراضك الثاني؛ فإنّا قلنا في الشرح: إنّما خصَّ البدرَ وقد كانت الشمس أنوه في الذكر، وأعظمَ في الفخر لما أراد من التصاعد من أول مرتبة في الفخر إلى آخر مرتبة فيه. فذكر البدرَ الذي هو أقربُ الكواكبِ إلينا، ثم تصاعدَ إلى الجوزاء التي هي في الفلك الثامن، وهي أرفع مراتب الكواكب، فكان أن أخذ بطرفي الفخر».

وتكلّمنا على تخصيصه الجوزاءَ دون سائر الكواكب الثانية، لئلا يطولَ ذكرُه فعارضْتنا بأنْ كتبت في الطرَّة: لا. إنّما ذكر البدر لأجل ذكره الجوزاءَ والليل يجمعهما. ولو ذكر الشمس مع الجوزاء لافترقا له وافترق المعنى. وهذا الذي قلته ـ أبقاك الله ـ معنى آخر ممكن أن يقال. غير أنَّ الذي أومأنا نحن إليه، ونبَّهنا عليه أحسنُ معنى، وألطفُ مغْزى. والشعراء يستعملون التصاعد من الأدنى إلى الأعلى مبالغة في المعاني، فتقول: هو كوكب، بل هو بدر، بل هو شمس، فيكون أبلغ من قولهم: هو شمس دون أن يذكر البدر والكوكب. وأما اعتراضك بأنَّه لو ذكر الشمس مع الجوزاء لتناقض الكلام؛ لأنَّ الشمس تطلع بالنهار، والجوزاء بالليل، فكلام غير صحيح[٣]؛ لأن الجوزاء طالعة بالنهار مع وجود الشمس كطلوعها مع وجود القمر، وإن كانت تمتنع من رؤيتها الأبصار؛ لأن نور الشمس يغلب جميع الأنوار، وكيف تنافرها الشمس وهي من بروجها ومن أوجها؟ وأما قولك: والليل مجمعها؛ فكلام طريف؛ لأنَّ الموضع الذي في الشمس والجوزاء لا يصل إليه الليل والظلماء، كما يصل الليل إلى موضع الليل، ونحن نمسك ها هنا عن الكلام، ونقبض عن العلم تأدّباً، كقول المتنبي[٤]: [من المنسرح]

أبلغ ما يُطْلَبُ به القَصْد وعنْد التعمّق الزَّلَلُ

ورأيناك ـ وفقنا الله وإياك ـ لمَّا وصلت إلى قول المعري[٥]: [من الطويل]

فبعداً لهذا الجسم ـ يا روحُ ـ مسلكاً وبعداً لهذا الروح ـ يا جسم ـ سالكاً

تَواصلْتما فاستحدثَ الوصلُ منكما عجائبَ كانتْ للرجالِ مَهالِكا

---

(١) ديوان جرير: ٨٩، ب١٥، وشروح سقط الزند ١: ٢٨٠.

(٢) عبد الملك بن مروان، أبو الوليد: من دهاة خلفاء بني أمية، نشأته في المدينة، استعمله معاوية على المدينة المنوَّرة وهو ابن ست عشرة سنة، كان متعبداً، ناسكاً، ضابطاً للأمور. الأعلام ٤: ١٦٥.

(٣) الكلمة مطموسة في المخطوطة.

(٤) ديوان المتنبي ٣: ٣٣٦، وروايته: «.... والطبع....».

(٥) اللزوميات ٢: ١٥٤.

wadod.org

فأنكرت علينا في بعض كلامنا أنّ الروح طاهر شريف، والجسم دونه موات لا يقع عليه تكليف، وكتبت في الطرَّة: صوابه: موجود شريف، وكيف حدثت باقترابهما خطيئة، وهو قول بقدم الأعراض، أو مجاز لا يعدم انتقاضاً[١].

وهذا كلام أوَّل ما ينتقد منه فساد الإعراب بترك نصب «الانتقاض» ووجهه الانتصاب. وبعد ذلك تقول: كيف أنكرت قولنا: إن الروح طاهر شريف، وقد طهَّره الله ـ تعالى ـ وشرَّفه وكرَّمه على النفس، وقدَّمه في القرآن المنزَّل علينا، وفي كتبه المتقدمة لنا؟ أما في كتابنا العزيز؛ فإنه نسب الشّر إلى النفس فقال: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ [يوسف ٩: ١١٢]، ولم يقلْ: إنَّ الروح لأمَّارة بالسوءِ. وذكر أنَّ النفسَ هي المثابة المعاقبة فقال: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ [المدثِّر ٧٤: ٣٨]، وقال: ﴿أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله﴾ [الزمر ٣٩: ٥٦] الآية. ولم يقل في الروح شيئاً من هذا، بل قدَّسه وشرَّفه بأنْ أضافه إليه فقال في آدم ـ عليه السلام ـ: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر ١٥: ٢٩]، ولم يقل: ونفخت فيه من نفسي. وقد أجمع المسلمون على الاستعاذة بالله من شرور أنفسهم لا من شرور أرواحهم، فهذا ما في كتابنا العزيز، وملتنا الحنيفة التي شرفنا الله بها.

وأما في ملل غيرنا؛ فذكر وهب بن منبه[٢] (٣٤ ـ ١١٤ هـ) أنه وجد فيما قرأه من التوراة وكتبِ الله المنزلة أن الله ـ تعالى ـ قال: إنّي خلقت آدمَ وركَّبتُ بدنَه من أربعة أشياء، ثم جعلتها وراثة في ولده وذريته، تنشأ في أجسادهم وينمون عليها إلى يوم القيامة؛ وذلك أنّي ركَّبت جسدَه من رطْب ويابسٍ، وسخْنٍ وبادر؛ وذلك أنّي ركَّبته من ترابٍ وماءٍ، ثم نفختُ فيه نَفَساً وروحاً، فيبوسة جَسده من التراب، ورطوبته من الماء، وحرارتُه من النفس، وبرودتُه من الروح، وذكر كلاماً طويلاً قال فيه: فمنِ النفسِ تكون حدَّته وخفَّته ولَعبِه ولَهوُه، وضحكُه وسفهُه، وخداعه وشكره، وعنفه وخرقه. ومن الروح يكون حِلمه ووقَاره، وعَفافه وحياؤُه، ونقاؤُه وصَفاؤه، وكرمُه وصدقه، ورفقه وصبره، فنسب إلى النفس الأمورَ المذمومة، وإلى الروح الأمور المحمودة.

فصارتِ الروح بظاهر ما ذكرناه أشرفَ منَ النفس، وذلك خلاف ما يقوله المتفلسفون؛ لأنَّ النفس عندهم أشرف من الروح، فكانَ الشيء المسمَّى في الفلسفة نفساً هو المسمى في الشرائع روحاً. وهذا مجال ضيق لم يكن بنا حاجة إلى الخوض فيه لولا ما رأيناه من أنكارك علينا ووصف الروح بالطهارة. وكذلك تهمك أن فيما قاله المعري، القول بقدم العرض توهم فاسد، وكلامك فيه منتقض.

ورأيناك ـ وفَّقنا الله وإياك ـ قد قلت: إنَّ تفريقنا بين الزمان والدهر تحكُّم، وأنَّ لك في

---

(١) في الأصل: «انتقاض»، وسينبه المؤلف عليها في الفقرة التالية.

(٢) هو: وهب بن منبّه الصنعاني، أبو عبد الله: مؤرخ، عارف بالإسرائيليات، معدود في التابعين، ولادته ووفاته في صنعاء، ترجمته في: الأعلام ٨: ١٢٥.

wadod.org

ذلك تحقيقاً ذكرته في كتاب «المقسط»، فليتنا رأيناه حتى نرى ما قلت في قول الله - عز وجل -: ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج ٢٢: ٤٧]، وقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج ٧٠: ٤]. فمن أي قسم يعد هذان اليومان؟ أمن قسم الدهر أم من قسم الزمان؟ ووجدنا النبي - ﷺ - قد ذكر الدهر في قوله: «لا تسبّوا الدهر فإنَّ الله هو الدهرُ»، ولم يذكر الزمان.

وكذلك قالت العرب للذي قول بالدهر: «دَهْري» بفتح الدال، وللمسن: «دُهريّ» بضم الدال، ولم يقولوا: «زَمني». وقالوا: لا أفعلُه دَهر الداهرين، ولم يقولوا زمن الزامنين، ولا زمن الزمنين. ولعل كتاب «المقسط» سيقع إلينا فنرى ما تضمنه - إن شاء الله -.

ورأينك - وفقنا الله وإياك - قد أنكرت علينا قولنا: إنَّ المعريَّ كان لا يرى أكل اللحم، ويعتقد أنَّ ذبح الحيوان من الظلْم. وذكرت أنَّه كان يمتنع من أكله لعله بجسمه. ويدلُّ على ذلك ما قلته استفاضة الخبر بذلك عنه، وما في شعره منه. بل كان يغلو في ذلك ويفرط، حتى إنَّه كان ينكر أكل البيض واللبن ونحوهما مما يختص بالحيوان كقوله في صفة الديك - وهي قصيدة قد أنشدناها وشرحناها - أولها[1]: [من الطويل]

أيا ديكُ! عدّت من أياديكَ صيحةً ... بعثتَ ميت الكَرى وهو نائمُ
ولو كنْتَ لي ما أُرهفتْ لكَ مديةٌ ... ولا رامَ إفطاراً بأكْلك صائمُ
ولم يُغْلَ ماءٌ كي تُمَزَّق حُلَّة ... حَبَتْك بأسناها العُصورُ القدائمْ
ولا عِمتَ في الخمر التي حَال طَعْمها ... كأنَّك في غَمٍّ من السيل غائمُ

وكقوله يخاطب حمامة: [من الطويل]

أعكرمَ[2]! إنْ غنَّيتِ ألفيتِ نادباً ... فلا تتغنَّي في الأصائل عِكْرما
بنظمٍ شجا في الجاهلية أهلَها ... وراقَ مع البعثِ الحنيفِ المخضرَمَا
وقدْ هاج في الإسلام كلَّ مولَّدٍ ... وأطربَ ذا نُسُكٍ آخرَ مُجْرما
لك النّصْحُ منّي لا أعاديك خاتِلاً ... بمكْرٍ ولكنّي أُغَاديك مُكْرِما
إذا ما أخذتِ الصقر يوماً فحاذري ... أخا الأُنْس أياماً وإنْ كانَ محرِما
يصوغُ لك الغاوي قلادةَ هالكٍ ... منَ الدمِ تجني وجدك المتضرِّما
وكمْ شحنتْ كفَّاه مثلَك في ضحى ... شبيبتها إذْ لم تري الدهر مُهْرما
وراع بقصٍّ منْ جناحيك آمناً ... فظلَّ على الريشِ النهوضُ محرَّما
وقد يبرم الحينَ القضاء بناشىءٍ ... يراوحُ خَيْطاً شدَّه بك مُبرما
كما قيَّض السلطان حِلْف جناته ... ليقتصَّ منهُ، أو ليغرمَ مَغْرما

(١) اللزوميات ٢: ٢٦٨.
(٢) اللزوميات ٢: ٢٩٤. العِكْرمة: الحمامة، وأجراها مجرى العلم فرخّمها.

wadod.org

فـزوري وبـاري الفقـر مـنْ كـل وابـرٍ وإلاّ فـرومـي خلـفَ ذلـك مَخْـرمـا
بحيـثُ تـوافيـنَ الصحـابـيّ معْـوزاً مـنَ النـاسِ، والمـاءُ السمـائـيَّ خِضْـرمـا
وحلـي ثقـافـي إنْ أطقـتِ بلـوغَـه فـأفنـي لَـديـهِ عُمْـرك التصـرُّمـا

وكقوله ينكر أكلَ البيض في قصيدة قد أنشدها[1]: [من الوافر]

ومـا الظبيـاتُ منّـي خـائفـاتٍ أرُحْـنَ مـع الأصـائـلِ أم ربضْنَـهْ
فـلا تـأخـذ ودائـعَ ذاتِ ريـشٍ فمـالـك أيُّهـا الإنسـان بضْنَـهْ

وله أشعار كثيرة في مثل هذا النوع.

وأخبرني أبو الفضل البغدادي[2]: سمعنا في شعره: لما مرض أبو العلاء مرضه الذي مات فيه، وكان ذلك في سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة، وكان قد بلغ ستاً وثمانين سنة، ودخل عليه الطبيب ورأى ما به من الضعف. فلما خرج قال لأهله: لو أكل اللحم لرجعتْ إليه قوّته وتماسكت، فإلاّ فهو هالك، فسهّلوا عليه ذلك فأخبر بما ذكر الطبيب، وقيل له: ما عليك في أكل اللحم حتى تتراجع قوتّك ثم تستمر بعد ذلك على مذهبك؛ فأنزل ذلك منزلة أكل الميتة عند الضرورة. فأجاب إلى ذلك، ثم سمع صوت دجاجة تستغيث. فقال: ما لها؟! قالوا نريد ذبحها، ويُصنع لك منها طعام. فقال: ناولوني إياها. فأخذوها ولمسها، فوجدها ترعُد، وقلبها يخفق. فقال: إنْ لم تبق نفسي في جسمي إلا بهلاك هذه النفس، فلا أبقاها الله! خلو عنها.

وهكذا رأيناك قد أنكرت علينا قولنا: إنَّ ذا النون الأخميميّ الزاهد من الباطنية. وقلت: الباطنية لفظة تقع على الزنادقة و«ذو النون» رجل فاضل. وهذه اللفظة لا تقع على الزنادقة فقط، كما قلت. بل هي في الحقيقة لفظة يصحّ أن يُسمَّى بها كل من خالف الظاهرية. إلا أنّ هذه اللفظة جعلت لفظاً للقرامطة والإسماعيلية وغلبت عليهم. وهو قوم يظهرون محبة علي ـ رضي الله عنه والتشيّعَ له ـ ويزعمون علم الباطن وأسرار القرآن والشريعة، ويقسمون الأنبياء إلى ناطق وصامت، والأدوار: دور سَتْر ودور كشف، ولهم مذاهب سخيفة. ولأبي بكر الباقلانيّ كتاب في الرد عليهم.

وقد نزّه الله ـ تعالى ـ ذا النون أنْ يكونَ منهم؛ فإنَّ كفر هذه الفرقة لا يخفى على من له أدنى بصر. وإنّما أردنا بقولنا المذكور: إنّه كان ممن يقولون بالباطن مع قوله بالظاهر، وكانت له مشاركة في العلوم القديمة مع خيره وفضله. والصوفيّة كلها تقول بالباطن، إلا أنَّ منهم من كان يُفْرط في ذلك إفراطاً يخرجه إلى الكفر، نعوذ بالله من الخذلان.

ورأيناك ـ وفقنا الله وإياك ـ قد عارضتنا في أشياء من العلوم النظرية: مثل مخالفتك لنا في الدهر والزمان والدهر، وإثبات إرادة الإنسان. وقولنا إنّ النفس جوهر باقٍ لا يَهلك بهلاك

---

(١) اللزوميات: ٣٥٨.

(٢) هو: محمد بن أبي سعد أحمد بن الحسن بن علي البغدادي، ثم الأصفهاني، من بيت علم وإسناد، ولد سنة ٤٢٣هـ، وتوفي سنة ٤٨٠هـ في بغداد. المنتظم ٩: ٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٨: ٥٣١.

wadod.org

الأجسام، ونحو هذا مما يمتدّ فيه باع الكلام، كأنّك نقمت علينا أن نقتصر هذه الأمور النظرية على مذهب الأشعريّة. ولو شئت لأجبناك عنها كما فعلنا بالأمور الأدبية فاستدلّ ببعضٍ على بعض.

واعلم بأنَّ اتباع الناس على آرائهم ليس بواجب ولا فرض، ولا سيما بمن ينزه نفسه عن أن يكون من أهل التقييد الذين ينادون بعيد. وليس إمساكنا عن القول في هذه الأشياء والخوض فيها جهلاً منا بأغراضها ومعانيها، ولكنها أمور نكتفي بالإشارة والتلويح عن الإبانة والتصريح، فنحن نطويها على غرمها، مخافة أن تدنسنا بعَرْفها.

وليس يخفى التعسُّف والإنصاف، ولا يعلم ما في الخُفَ إلا الله والإسكاف.

وكذلك رأيناك قد عبتنا بذكرنا بعض الفلاسفة المتقدمين من الطبيعيّين والإلهيين، وذلك أمرا قد اضطررنا إليه؛ إذ كان شعر هذا الرجل يبعث عليه، لأنه سلك بشعره مسلك الشعراء، وضمّنه نكتاً من المذاهب والآراء، وأراد أن يرى الناس معرفته بالأخبار والأنساب، وتصرّفه في جميع الآداب. ولم يقتصر على ذكر مذاهب المتشرعين حتى خلطها بمذاهب المتفلسفين. فتارة يخرج ذلك مَنْ يرد عليهم، وتارة يخرجه مخرج مَنْ يميل إليهم. وربَّما صرَّح بالشيء تصريحاً، وربما لوَّح به تلويحاً. فمن تعاطى تفسير كلامه وشعره، وجهل هذا من أمره، بعد عن معرفة ما يومىء إليه، وإنْ ظنّ أنه عثر عليه؛ ولهذا لا يفسر شعره حقَّ تفسيره إلا من له تصرّف في أنواع العلوم، ومشاركة في الحديث منها والقديم. فلم يكن بُدٌّ من ذكر المعاني التي أومىء إليها، وحام فكره عليها، كمثل ما أنشد من قوله[١]: [من السريع]

أَزْرى بـــكَ المُبْـــرأ يـــا بـــائســـاً ... وخـــالفـــك هيـــلاجـــك الكُـــزْ خُـــذَاه

فطـــال منـــك العمـــر فـــي شقـــوةٍ ... كـــاليَتَـــم استـــولـــى عليـــه خَـــذَاه

كـــأنّمـــا النَّصْبـــةُ قـــدْ أومـــأتْ ... للفقـــر والبـــؤسِ وقـــالـــت: خُـــذَاه

فهذه قطعة لا تبين إلاّ بذكر مذاهب المنجمين.

ونحو قوله[٢]: [من السريع]

شكـــلٌ غـــدا يجـــذبـــهُ شكْلُـــه ... كـــالأزقـــم المـــرهـــوبِ مـــنْ مُنْكـــزِه

تشـــاكـــلا فـــي البَـــرْد فـــاستجمعـــا ... والبـــرد يُـــدنـــي الشـــيء مـــن مـــركـــزه

ونحو قوله[٣]: [من الطويل]

يـــا ليـــتَ شعـــري! وهـــلْ ليـــتٌ بنـــافعـــة ... مـــاذا وراءك أم مـــا أنـــتَ يـــا فَلَـــكُ؟

كـــم خـــاضَ فـــي أمـــرك الأقـــوامُ واجْتهـــدوا ... قِـــدْمـــاً، فَمَـــا أوضحـــوا ولا تـــركـــوا

شمـــس تغيـــبُ ويقفـــو إثْـــرهـــا قَمَـــرٌ ... ونـــورُ صبْـــح يـــوافـــي بعـــدَه حَلَـــكُ

* * * *

(١) لم أقف على الأبيات في آثاره.

(٢) لم أقف عليهما.

(٣) لم أقف على الأبيات في آثاره.

wadod.org

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إسفار الفصيح: أبو سهل الهروي، دراسة وتحقيق د.أحمد محمد قشاش، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٠ هـ.
- إصلاح المنطق: ابن السكيت، حقَّقه أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ١٩٧٠، دار المعارف، القاهرة.
- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- أوضح المسالك: ابن هشام الأنصاري، شرحه محمد محيي الدين عبد الحميد، المطبعة العصرية، صيد، لبنان.
- تاريخ التراث العربي: د.فؤاد سزكين، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- تاريخ ابن عساكر: ابن عساكر، ج٤٧، تح. سكينة الشهابي، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: د.حفني شرف، ١٩٦٧، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
- الجبال والأمكنة: الزمخشري، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٥٧ هـ.
- حماسة أبي تمام: تح. د.عبد الله عسيلان، ١٩٨١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- خزانة الأدب: عبد القادر البغدادي، تح. عبد السلام هارون، ١٩٦٨، القاهرة.
- ديوان أبي فراس الحمداني: جمعه وحققه وشرحه المرحوم الدكتور سامي الدهان، ١٩٤٤، بيروت. ونسخة أخرى تح. د.محمد ألتونجي، ١٩٧٨، المستشارية الإيرانية، دمشق.
- ديوان امرىء القيس: تح. د.أنور أبو سويلم، مركز زايد للتراث، العين، ٢٠٠٠ م.
- ديوان بشار بن برد: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع.
- ديوان بشار بن برد: جمعه السيد محمد بدر الدين العلوي، ١٩٦٣، دار الثقافة، بيروت.
- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: تح. المرحوم عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق.
- ديوان تميم بن أبي مقبل: تح. المرحوم عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق.
- ديوان تميم بن المعز الفاطمي: تح. محمد حسن الأعظمي، ١٩٧٠، دار الثقافة، بيروت.
- ديوان جرير: تح. نعمان أمين طه، ١٩٧٠، دار المعارف، القاهرة.
- ديوان ذي الرمة: تح د.عبد القدوس أبو صالح، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- ديوان رؤبة بن العجاج: وليم بن ألورد، مجموع اشعار العرب، برلين، نسخة مصورة.
- ديوان الشماخ بن ضرار: تح. صلاح الدين الهادي، ١٩٦٨، دار المعارف، مصر.
- ديوان طرفة بن العبد: تح. درية الخطيب، ولطفي الصَّقال، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- ديوان طُفيل الغنوي: تح. محمد عبد القاهر أحمد، ١٩٦٨، القاهرة.
- ديوان العجَّاج: صنعه الأصمعي، تح. أستاذنا الدكتور عبد الحفيظ السطلي، ١٩٧١، المطبعة التعاونية، دمشق.
- ديوان علقمة الفحل: تح. دريَّة الخطيب ولطفي الصقال، المكتبة العربية، حلب.
- ديوان الفرزدق: ط١، ١٩٩٢، دار الكتاب العربي، بيروت.

wadod.org

- ديوان القُطامي: جمعه د. إبراهيم السامرائي، ود. أحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت.

- ديوان المتنبي: شرح عبد الرحمن البرقوقي، ١٩٨٦، دار الكتاب العربي، بيروت.

- ديوان مجنون ليلى: جمعه وحققه عبد السلام فرّاج، دار مصر للطباعة.

- رسائل أبي العلاء المعري: تح. د. عبد الكريم خليفة، ١٩٧٩، عمان، اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر.

- سير أعلام النبلاء: الحافظ الذهبي: تح. مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- شرح ابن عقيل: تح. محمد محيي الدين عبد الحميد.

- شرح حماسة أبي تمام: الأعلم الشنتمري، تح. د. عبد المفضل حمّودان، مركز جمعة الماجد.

- شرح حماسة أبي تمام: التبريزي، ١٩٢٧، ط٣، مط. دار السعادة، مصر. وطبعة بولاق، ١٢٩٦ هـ.

- شرح حماسة أبي تمام: المرزوقي، تح. أحمد أمين، وعبد السلام هارون، ط١، ١٩٥١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

- شعر عروة بن حزام: جمعه د. إبراهيم السامرائي، ود. أحمد مطلوب، كتبت مقدمته ١٩٦٠ م.

- شروح سقط الزند: تح. مصطفى السقا وزملائه، ١٩٤٥، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

- فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ط١، ١٩٨٦، دار الريان للتراث، القاهرة.

- الفصوص: صاعد البغدادي، تح. عبد الوهاب التازي سعود، ١٩٩٤، المغرب.

- الكتاب: سيبويه، تح. عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.

- اللزوميات: أبو العلاء المعري، تح. أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الهلال، بلا تاريخ، القاهرة.

- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت.

- مالك ومتمم ابنا نويرة: ابتسام مرهون الصفّار، ١٩٦٨، مط. الإرشاد، بغداد.

- مجمع الأمثال: الميداني، دار النصر، بيروت.

- المستقصى من الأمثال: الزمخشري، عالم الكتب، بيروت.

- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.

- معجم ما استعجم: البكري، ١٩٥١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري، تح. د. مازن المبارك، وعلي حمد الله، دار الفكر.

- المنتخب من شيوخ السمعاني: تح. د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٦، الرياض.

wadod.org

كتاب: «التنبيه على شذوذ ابن حزم»
تأليف القاضي: أبي الأصبغ عيسى بن سهل الجيَّاني
(ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م)

حقق بعض نصوصه: الأستاذ سمير القدوري(*)

تمهيد:

سبق أن عرفت بقطعة مخطوطة من كتاب «التنبيه على شذوذ ابن حزم» لعيسى بن سهل الأندلسي، على صفحات أحد أعداد هذه المجلة[1]، واليوم سأنشر نصوصاً من الكتاب، لعلها تساعد الباحثين في البحث على نسخ أخرى للكتاب تمكنهم من تحقيقه كاملاً.

ووقع اختياري على بداية الكتاب، لسبب واحد وهو تتابع أوراقها واحتفاظها بوحدتها، فقد حُفظت الورقة الأخيرة من المقدمة التي تلي مباشرة الفصل التمهيدي للكتاب، وهو عن المؤلف يشكل الباب الأول وقد سلم كاملاً باستثناء بعض الخروم التي تسبب فيها الأرضة.

وقبل ذلك سأقدم ترجمة لعيسى بن سهل، فيها معلومات جديدة عنه أغفلتها الترجمات العتيقة في المصادر الأندلسية والمغربية.

١ ـ ترجمة عيسى ابن سهل:

ولد أبو الأصبغ عيسى بن سهل بحاضرة جيّان، من بلاد الأندلس في سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م)[2] وكان والده سهل بن عبد الله الأسدي يتولى الصلاة والخطبة بحصن القلعة وبها سكناه، وكان معدودا في أهل العلم مع الصلاح والخير. توفي سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م[3]. ونسبته «الأسدي» تدل على أن ابن سهل من أصل عربي وهو قبيلة بني

(*) أستاذ في جامعة الرباط ـ المغرب.

(١) مجلة الذخائر عدد ٥ شتاء ٢٠٠١، صفحات ٢٣٩ ـ ٢٥٦ «مخطوطة أندلسية فريدة في الرد على ابن حزم الظاهري». ويراجع كذلك مقالي بمجلة القنطرة (الإسبانية) مجلد ٢١ (مدريد ٢٠٠١) الجزء الثاني صفحات ٤٩٩ ـ ٣٢٠

«identifi corcion de un manoscritq Andalusr Anónimo de una obra contra IBN Hazm Al-Qurtubi» Samir Kaddouri.

(٢) الصلة لابن بشكوال رقم ٩٨٢.

(٣) التكملة لابن الأبار ٤/ ١٢٥.

wadod.org

أسد (بشمال الجزيرة العربية).

وأقدم شيخ سمع منه ابن سهل - حسب بحثنا - هو: أبو الوليد هشام بن عمر بن سوار الفزاري الجيَّاني[١] وصفه ابن سهل فقال: «كان شيخناً وسيماً مفتياً نبيهاً، ولي الأحكام بشرق الأندلس[٢]».

وسمع بجيان كذلك على الفقيه: أبي جعفر بكر بن عيسى بن سعيد الكندي الزاهد الذي كان من المتحققين بعلم القرآن والسنة والعربية، بصير بالنحو مشاركاً في الأدب. قال القاضي عياض: «...وانتفع به أصحابه (..) وأبو الأصبغ ابن سهل وغيرهم[٣]». توفي هذا الفقيه بقرطبة سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦١م.

ورحل عيسى ابن سهل إلى حاضرة غرناطة للأخذ عن فقيهها ومفتيها:

أبي زكرياء يحيى بن محمد بن حسين الغساني المعروف بالقُليعي (ت ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م)[٤].

قال عياض: «رحل إليه أبو الأصبغ (ابن سهل) وسمع منه غير شيء وكان من أجل شيوخه» وحسب كتاب الغُنية للقاضي عياض فقد روى عيسى ابن سهل الموطأ عن القليعي[٥] ثم قصد عيسى بن سهل مدينة قرطبة ودرس بها مدة وأخذ على بعض شيوخها ومنهم:

- المقرى مكي ابن أبي طالب نزيل قرطبة (ت٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م)[٦] وهذا يعنى أن ابن سهل دخل إلى قرطبة وعمره لم يتجاوز ٢٤ سنة. وحسب الغنية للقاضي عياض[٧] فقد روى ابن سهل رسالة ابن أبي زيد القيرواني عن شيخه مكي. وحسب برنامج المنتوري[٨] فابن سهل يروي كتاب «الموجز في القراءات السبع[٩]» لمكي ابن أبي طالب، عنه مباشرة.

وكذلك يروي ابن سهل عن مكي ابن طالب كتاب «الرعاية لتجويد القرآن[١٠]» وسمع عيسى بن سهل في شهر صفر من سنة ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م) من الأديب واللغوي محمد بن عبد الرحمن بن يحيى الجشماني القرطبي، وكان ذلك السماع بمدينة قرطبة[١١]. وهذا يعني أن ابن

---

(١) الصلة رقم ١٤٣٨.
(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٨/ ١٦٥.
(٣) نفس المصدر ٨/ ١٤٩ - ١٥٠ والصلة رقم ٢٧٧.
(٤) الصلت رقم ١٤٧١، ترتيب المدارك ٨/ ١٦٠ - ١٦١، الديباج المذهب رقم ٦١٥. وقد تمزق اسمه في ترجمة عيسى ابن سهل الموجودة في مُلحق ابن حمادة السبتي على ترتيب المدارك لعياض عصار «يحيى بن زكريا القليعي» (ترتيب المدارك ٨/ ١٨٢ - ١٨٣ ضمن الملحق المذكور).
(٥) الغنية ص ٣٢.
(٦) ترتيب المدارك ٨/ ١٣ - ١٤.
(٧) صفحة ٤٤.
(٨) لوحة ٤ من مخطوط الخزانة الحسنية.
(٩) سماه ابن خير «التذكرة في القراءات السبع» راجع من ٣٨ من فهرسة ابن خير.
(١٠) التكملة ١/ ٣٥٥.
(١١) الصلة رقم ١١٥٩.

wadod.org

سهل قضى بقرطبة أكثر من سنتين طالباً للعلم.

وفي تاريخ يقع ما بين ٤٤٠هـ ـ ٤٤٤هـ كان عيسى بن سهل بمدينة جيان حيث شغل بها منصباً إدارياً مهماً، كما شرح ذلك بنفسه في كتابه «الإعلام بنوازل الأحكام».

قال عيسى ابن سهل: «مسألة كانت جرت بين يدي وحكمتُ فيها (..) وكنتُ حينئذ حاكم بيّاسة والشمنتان وطشكر وأعمالها، بتقديم ابن صمادح صاحب المرية (...) فحكمت وسجلت بذلك (..) وتاريخ السجل عقب ذي الحجة من سنة ٤٤٣هـ[١]».

وقد فصل ابن سهل القول في الخُطط التي تكون للحُكّام الذين تجري على أيديهم الأحكام فقال: واعلم أن للحُكام الذين تجري على أيديهم الأحكام ست خطط. أولها القضاء وجُلها قضاء الجماعة، والشرطة الكبرى، والشرطة الصغرى، وصاحب المظالم، وصاحب رد بما يُردُّ إليه من الأحكام، وصاحب مدينة، وصاحب سوق (..) وتلخيصها: «القضاء، والشرطة والمظالم، والرد، والمدينة، والسوق..». وإنما كان يحكم صاحب الرّد فيما استرابه القضاة وردوه عن أنفسهم (..) وصاحب السوق كان يُعرف بصاحب الحِسبة لأن أكثر نظره إنما كان فيما يجري في الأسواق من غش وخديعة وتفقُّد مِكيال وميزان وشبهه (..) وقال بعض الناس: «خطة القضاء هي أعظم الخطط قدراً وأجلها نظراً لا سيما إذا جُمعت إليه الصَّلاة، وعلى القاضي مدار الأحكام وإليه النظر في جميع وجوه القضاء..[٢]».

ولم تدم مدة حُكم ابن سهل بيباسة وأعمالها طويلاً لأنه وقعت فتنة صارت بسببها بيّاسة تحت حكم باديس بن حبُّوس البربري[٣]، فعاد ابن سهل إلى قرطبة سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) ولازم شيخه أبا عبد الله محمد بن عتاب (ت ٤٦٢/١٠٦٩م) قال ابن سهل في وصف شيخه هذا: «كان إماماً جليلاً متصرفاً في كل باب من أبواب العلم، أحد الفقهاء بالأندلس حافظاً نظّاراً مستنبطاً، بصيراً بالأحكام (..) صِحبتهُ طويلاً ورويت عنه كثيراً وأجاز لي جميع ما رواه[٤]».

وهذه أسماء بعض الكتب التي رواها ابن سهل عن شيخه ابن عَتّاب.

- موطأ مالك بن أنس براوية يحيى بن يحيى الليثي.
- كتاب صحيح البخاري براوية الأصيلي عن أبي ذر الهروي.
- كتاب شرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلاّم.
- نسخة حديث ابن أبي الدنيا علي بن عثمان بن خطاب.
- كتاب موعظة داود بن جهور[٥].

وأخذ بقرطبة كذلك عن الفقيه: حاتم بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن

---

(١) كتاب ديوان الأحكام الكبرى لعيسى بن سهل ١/ ٦١٣ ـ ٦١٤.
(٢) نفس المصدر ١/ ٩٠.
(٣) نفس المصدر ١/ ٦١٤.
(٤) ترتيب المدارك ٨/ ١٣١ ـ ١٣٢.
(٥) كتاب الغنية للقاضي عياض ص: ٣١ + ٣٩ + ١٢٠ + ١٢١.

wadod.org

الطرابلسي المتوفى سنة (٤٦٩هـ/ ١٠٧٦ م) وكان أحد المشاورين من فقهاء قرطبة، روى عنه ابن سهل كتباً كثيراً نذكر منها:

- الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي.
- شرح غريب الحديث لابن سلاّم.
- الملخِصُ لمُسند الموطأ للقابسي.
- كتاب الانتصار لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليف الأصيلي.
- كتاب ردّ الأصيلي على أصحابه الأندلسيين.
- كتاب الأربعين حديثاً للأجري.
- كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة.
- كتاب فضائل مالك بن أنس لأبي ذر الهروي[١].
- كتاب فضائل عاشوراء لأبي ذر الهروي.
- وصية مالك بن أنس لطلب العلم + وصية يحيى بن يحيى لطلب العلم[٢].

ومن شيوخه ابن سهل بقرطبة نجد كذلك: الفقيه أبا محمد عبد المهيمن ابن عبد الملك بن أحمد القرطبي المعروف بابن المش (ت ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م). روى عنه ابن سهل:

- كتاب «الكنز في معرفة الأصول ورجح مذهب مالك» تأليف والده عبد الملك بن أحمد (ت٤٣٦/ ١٠٦٤م)[٣].

ومن شيوخه بقرطبة:

- أبو مروان عبيد الله بن محمد بن مالك: الفقيه المشاور بقرطبة، كان حافظاً للتفسير والحديث عالماً بوجوه الاختلاف بين الفقهاء توفي سنة (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)[٤].
- أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال المعروف بابن القطان، أحد فقهاء قرطبة وعليه وعلى ابن عتاب دارت الفُتيا بها وكان أحفظ الناس للمدونة والمستخرجة توفي سنة (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)[٥].

وفي سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) خرج ابن سهل من قرطبة رفقة القاضي أبي زيد ابن الحشاء إلى طليطلة. قال ابن بشكوال: «عبد الرحمن بن محمد بن عيسى يعرف بابن الحشاء قاضي طليطلة وأصله من قرطبة، يكنى أبا زيد. استقصاه المأمون يحيى ابن ذي النون بطليطلة بعد أبي الوليد صاعد، في الخمسين وأربعمائة.. توفي سنة ٤٧٣ بدانية[٦]». وقال عياض عن ابن

(١) التنبيه على شذوذ ابن حزم للقاضي ابن سهل (مخطوط).
(٢) الغنية ص: ٣١ + ٣٩ + ٤٣ + ١٢٠ + ١٢١.
(٣) الصلة رقم ٨٢٨ وترتيب المدارك ٨/ ٢١ والغنية ٥٨.
(٤) الصلة رقم ٦٠٧ + ترتيب المدرك ٨/ ١٤٤.
(٥) ترتيب المدارك ٨/ ١٣٥ ـ ١٣٦.
(٦) الصلة رقم ٧٢٨.

wadod.org

الحشاء «. . . وكتب له في قضائه بطليلة: أبو الأصبغ ابن سهل[١]».

وقال ابن حماده في ملحقه على ترتيب المدارك «وَلِيَ (ابن سهل) الشورى وكتابة حاكمها ابن حريش، إلى أن خرج مع القاضي أبي زيد الحشاء كاتباً له. ثم فارقه لأمرٍ نقمه عليه، فدخل قرطبة مختفياً[٢]».

لقد عاد ابن سهل إلى قرطبة حوالي ٤٥٧هـ كما يستنبط من كتابه في نواز الأحكام، وبطليطلة سمع من بعض علمائها ونذكر منهم:

ـ أبو محمد عبد الله بن موسى الأنصاري المعروف بالشارقي، من أهل طليطلة وذي العلم والفهم بها توفي سنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م). قال عياض: «حَدَّثَ عنه الفقيه القاضي ابن سهل[٣]».

ـ قال ابن حمادة في ترجمة ابن سهل: «وسمع بطليطلة من القاضي ابن أسد» وأظنه يقصد: عبد الرحمن بن عبد الله ابن أسد الجهني الذي شور في الأحكام ببلدة طليطلة وتوفي بها في عَشْرِ الثمانين[٤] [يعني بين (٤٧٤ ـ ٤٨٠هـ)].

وعند عودة ابن سهل إلى قرطبة تولى الكتابة للقاضي أبي بكر محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد بن منظور القيسي من أهل إشبيلية استقضاه المعتمد على الله محمد بن عباد بقرطبة (توفي سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١)[٥].

وأفاد ابن سهل في نوازله أنه كان مشاوراً في قرطبة سنة ٤٦٤هـ في قضية صلب بن حاتم الطليطلي المتهم بالزندقة[٦].

قال ابن سهل في نوازله «ونزلت عن القاضي بقرطبة أبي بكر ابن منظور مسألة (. .) فكنتُ أفتيتُ أنا فيها. .[٧]».

وقال أيضاً «شاوَرَنا صاحب الأحكام والأحباس بقرطبة محمد بن مكي (. .) فأفتيتهُ أنا وأبو الحسن علي بن محمد. .[٨]».

قال ابن بشكوال: «محمد بن مكي بن أبي طالب ابن محمد بن مختار القيسي: من أهل قرطبة يكنى أبا طالب (. .) وليي أحكام الشرطة والسوق بقرطبة مع الأحباس وأمانة الجامع، وكان محموداً فيما تولاه من أحكامه، توفي سنة (٤٧٤/ ١٠٨١). .[٩]».

قال ابن سهل: «شورى خَاطبنا بها صاحب السوق أبو طالب محمد بن مكي رحمه الله

---

(١) ترتيب المدارك ٨/ ١٤٣.
(٢) نفسه ٨/ ١٨٣.
(٣) ترتيب المدارك ٢/ ١٤٦ + الصلة رقم ١١١.
(٤) ترتيب المدارك ٨/ ١٨٢، الصلة رقم ١٣٣.
(٥) الصلة رقم ١١٩٧ (ورقم ٩٤٢ ترجمة ابن سهل) وديوان الأحكام الكبرى لابن سهل ٢/ ١٢٩٨ ـ ١٢٩٩.
(٦) ديوان الأحكام الكبرى: ٢/ ١٣١٢ ـ ١٣١٣.
(٧) نفسه ١/ ٤٩٢.
(٨) نفسه ٢/ ١١٢٢.
(٩) الصلة رقم ١٢١٠.

wadod.org

وكان القاضي أبو المطرِف ابن سوار ابتدأ النظر في ذلك فمات قبل تمام الحكم فيه..[١]».

ومن المعلوم أن عبد الرحمن بن سُوَار بن أحمد ابن سُوار استقضاه المعتمد على الله بقرطبة بعد ابن منظور يوم الجمعة ١٤ جمادى الآخرة سنة ٤٦٤هـ إلى أن توفي يوم الثلاثاء ١٢ ذي القعدة من نفس العام[٢].

ثم نجد ابن سهل سنة ٤٦٨ بإشبيلية حسب ما ذكره بنفسه في نوازله فقال: «مسألة في كراء أرض محبسة لخمسين عاماً (..) فكتب إليّ بها أبو شاكر (ابن المعدل أحد فقهاء بطليوس) وقاضيها (أي بطليوس) أبو الحسن عامر بن خالص، بعد تقدم جوابي على بعض فصولها (..) وكان سؤالهم إياي وأنا حينئذ بإشبيلية في سنة ثمان وستين[٣]».

وهذه معلومة مهمة جداً تدل على أن ابن سهل ظل بالأندلس حتى سنة ٤٦٨هـ.

ثم انتقل ابن سهل إلى سبتة فيما بين ٤٦٨ ـ ٤٧٠هـ دليل ذلك قوله في كتابه: التنبيه على شذوذ ابن حزم: «ثم صرت إلى سبتة في عَشْر السَّبعين..[٤]».

قال ابن حمادة: «..وجاز (ابن سهل) البحر إلى سبتة فنوَّه بمكانِهِ صاحبها البَرَغْوَاطي، فرَأسَ فيها وأخذ عنه جماعة من فقائها[٥]».

واشتغل ابن سهل هناك بالتدريس وألف كتابه القيم «الإعلام بنوازل الأحكام» بمدينة سبتة خلال ٤٧٢ ـ ٤٧٣هـ[٦] وأضاف إليه بعض المسائل بعد ذلك عندما بيَّضه سنة ٤٧٤ بنفس المدينة[٧]، ولم يتولّ بها القضاء والغالب أنه بقي بها حتى سنة ٤٧٦ ثم انتقل إلى طنجة وعُيّن قاضياً بها[٨] إلى حدود سنة ٤٨٠هـ.

وفي سنة ٤٨١ دخل الأندلس مع جيوش المرابطين لحصار حصن أليط (Aledo)[٩] قرب مرسية، وبعد الفراغ من ذلك الحصار استدعاه ملك غرناطة عبد الله ابن بلقين للقضاء بها[١٠] فتولى قضائها إلى حين دخول المرابطين لغرناطة سنة ٤٨٣هـ وإجلائهم لابن بلقين إلى المغرب، وبعدها بيسير عُزل عيسى ابن سهل ثم توفي بغرناطة يوم الجمعة ٥ محرم سنة ٤٨٦هـ[١١].

وكان لابن سهل بغرناطة تلاميذ كثيرون ذكرناهم في مكان آخر.

---

(١) ديوان الأحكام الكبرى ٢/ ٩٨٤.
(٢) الصلة رقم ٧١٨.
(٣) ديوان الأحكام الكبرى: ٢/ ٧١٧ ثم ٢/ ٧٢٩.
(٤) مقالي بمجلة الذخائر ص: ٢٥٠. ومقالي بمجلة القنطرة ص: ٣١١ تعليق رقم ٥٣.
(٥) ترتيب المدارك ٨/ ١٨٣.
(٦) مقالي بالقنطرة ص: ٣٠٦ تعليق ٣٢.
(٧) ديوان الأحكام الكبرى ٢/ ١٢٩.
(٨) ترتيب المدارك ٨/ ١٨٣.
(٩) القنطرة (مقالي المذكور ص ٣٠٦ تعليق ٣٤.
(١٠) القنطرة ص: ٣٠٧.
(١١) الصلة رقم ٩٤٢.

wadod.org

٢ ـ مؤلفات عيسى بن سهل:

ألف ابن سهل ـ حسب ما استقصيته ـ خمس مؤلفات وهي:

١ ـ شرح ألفاظ الغريب من الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري (مفقود)[١].

٢ ـ فهرسة شيوخه (مفقودة)[٢].

٣ ـ الإعلام بنوازل الأحكام (مطبوع بتحقيقين)[٣].

٤ ـ التنبيه على شذوذ ابن حزم (منه قطعة ناقصة مخطوطة).

٥ ـ رسالة إلى ابن حزم الظاهري. (منها شذرات في رسالة الرد على الهاتف من بُعد لابن حزم)[٤].

٣ ـ تحقيق بقية المقدمة، ونص الباب الأول من كتاب التنبيه على شذوذ ابن حزم:

بقية المقدمة: قال عيسى ابن سهل: «...ما علا به من خلاف مذهب مالك وأصحابه.. لا ينتفع بك وكان أظهر لحالك فأبى من ذلك» وقال.. (وكان) ينحرف عن القبلة في صلاته إلى ناحية المشرق، قبلة اليهود والنصارى بالشام. فربما صلى أحياناً إلى جنب القاضي ابن سمر كذلك. فقلق شيوخ المرية وفقهاؤها من ذلك وقالوا للقاضي: «إما أن يصلي إلى قبلتنا وإلا فاطرده عن نفسك لئلا يحتجَّ بك يوما ما علينا فأعلمه القاضي بذلك. فخرج عن المرية إلى دانية، وانتقل عن مذهب الشافعي، ورآه ضلالاً، إلى مذهب أهل الظاهر ـ المبتدع بعد انقراض القرون الممدوحة ـ الذي مخترعه ومُبتدِعُهُ داود بن علي الأصبهاني المعروف بالقياسي، وانتحله ورأى أنه الحق الذي يجوز تعديه ولا مُراعاة مُخالفيه، وأكثر فيه من التأليف والجمع والتصنيف، وتعلق بدانية بالكاتب أبي العباس ابن رشيق ـ في أخريات الموقف مجاهد العامري ـ فنقله أبو العباس معتنياً به ومُرَفِّعاً لحاله، إلى جزيرة مَيُورقة، وشرط عليه ألا يفتي أهلها إلا بمذهب مالك ـ رحمه الله ـ ربما يعتقده، وذلك في أول عَشْرِ الأربعين وأربع المائة. فكان يُنتَقَد عليه الخطأ كثيراً، وبدا لمن فيها جهله به، وهو مع ذلك لا يَدَعُ الحضّ على مذهبه والنّدب إلى طريقته ـ على ما سيأتي أبينَ إن شاء الله ـ فغصّ أهلها ذرعابه وبان للمعتني به جهله، وقبيح معتقده.

فخرج عنها إلى دانية ثم إلى إشبيلية ثم إلى قريته بجهة لبلة، ومات بها في سنة ست وخمسين وأربع مائة، في أيام المعتضد رحمه الله، وقد حجر عليه أن يُفتي بين اثنين بمذهب مالك أو غيره، ومنعهُ أن يجلس إليه أحد في علم، وتوعَّد من دخل إليه، بالعقوبة والأدب،

---

(١) نقل منه القرطبي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن فرح (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢) في التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ٦٢٨.

(٢) ذكرها القاضي عياض في الغنية ص ٢٩٩، وابن خير في فهرسته ص ٣٨٨.

(٣) بتحقيق: الدكتور رشيد النعيمي المحامي الرياض ١٩٩٧. وتحقيق نورة التويجري (دكتوراه بالرياض ١٩٩١).

(٤) راجع مقالي بمجلة القنطرة ص ٣١٦ ـ ٣١٧.

wadod.org

وعجّل له الخزي في الأولى على الإزراء بمن سلف من العلماء، والله أعلم به في / الأخرى/ . . . .

(زيـ)ـادة فيه إن شاء الله عز وجل. .

وخوض فيما خالف الحق ونافى الصدق، من غَمصه على أئمة الدين واستخفافه بأقدار العلماء الراسخين، وقطعة عمره في تزييف دقائق علومهم وَرَدِ بديع أقوالهم في الأصول والفروع (وترك) ما وجب عليه وعلى غيره ممن يدين بدين الإسلام، من أتباعهم بإحسان، والدعاء لهم بالرحمة والغفران.

ومالت شرذمة، لا دين عندها، ولا عقل معها، ولا خلاف لها، إلى القول بمذهبه ومطالعة تواليفه، التي لا تُفيد إلا سبَّ من سلف والطعن عليهم والمُعاداة لهم، والله تعالى يجازيه ويجازيهم عن (ذلك) بما هم له أهلٌ.

فرأيتُ التنبيه على قبيح مذهبه وسوء معتقده للأئمة، وفاضلي هذه الأمة، وإظهاره لثلبهم في كل باب من تواليفه، ولهجه بالاستخفاف بهم في كل ورقة من تصنيفه، فِعْل من لا يتقي الله تعالى، ولا يستحي من عباده، ولا يراعي حقّ سلفه، وأذكر طرفا من جهله فيما أوْرَدَ واضطراب فيما ذكر وتصحيفه لما نقل وتسطرَ وشذوذه بما لا يقله من تقدم أو تأخر، وأقدم قبل ذلك باباً في إيجاب الاقتداء بالعلماء وحُسن الاتباع لهم وتوقير بعضهم بعضاً والمعرفة بحقوقهم وبر من خَلَقَ بمن سَلَفَ.

وبالله أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل[١]».

باب من يلزم المتأخرين من الاقتداء بالمتقدمين ويجب عليهم من توقيرهم وتعزيرهم:

قال الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم[٢]». قال جابر بن عبد الله: أولوا الأمر أهل الفقه والعلم. . ومجاهد وعطاء. . قال أبو هريرة: أمراء السرايا قال. . . واحدٍ لأن أمراء السرايا من العلماء لأنه لا يولي إلا من يعلم. وأبو بكر وعمر من العلماء، فأوجب الله تعالى طاعة العلماء فيما قالوه أو تأولوه ولم يُرد فيما نقلوه، لأن قبول نقل الثقات وإن لم (يكونوا من) الراسخين، واجب بدليل قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة[٣]» فلما أمر بالتثبت في خبر الفاسق دل على وجوب قبول خبر الثقة، ولا خلاف في هذا بين المسلمين، ولهذا شواهد (يكثر) عدُّها. وعلى مثل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ حامل فقه ولا فقه له ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» في هذا الحديث دليلان: أحدهما: على قبول خبره وإن لم يكن فقيها إذا كان ثقة عده، والثاني على لزوم قبول الناقل إلى غيره قول الأفقه المنقول إليه، في تأويل ذلك وتفسيره.

---

(١) هنا انتهى نص المقدمة ويليه مباشرة الباب الأول من الكتاب.

(٢) سورة النساء آية ٥٩.

(٣) سورة الحجرات آية ٦.

wadod.org

وحصل من هذا أن الناس في العلم صنفان: مستبْحِرٌ ومُقصّر.

قال ابن أبي زيد في بعض كتب: «ولو جاز لكل مقصر في العلم والفهم أن يستغني بنفسه في دين الله ومشكلات الحوادث، لتغيرت الأحكام واستحل الحرام، وفسد النظام ولم يتغير لدين الله قرار». قال فبهذا صار الأتباع عصمة والاقتداء نجاة، والتوقف عما أشكل سلامة، ورد ذلك إلى من هو أعلم منك واجب[1] وهذا مذهب أهل الخشية والتحفظ المُتحرين لحدود الله، لا سبيل المُعجبين بآرائهم الداعين للاستغناء عن كل عالمٍ في تأويل واستنباط، المساوين بزعمهم للصحابة ومن أتى من بعدهم كابن حزم/... من ضل من المتأخرين.. الراسخين رضي الله عنهم أجمعين (أغواه) قرينه الشيطان وغلب عليه الخِذلان والله المستعان.

قال عز وجل: «كنت خير أمة أخرجت للناس[2]» الآية. أي أنتم خير الناس للناس وجاء.. وهم صدر هذه الأمة، وقاله مالك بن أنس.

وقال تعالى: «وسلام على عباده اللذين اصطفى[3]» قال مجاهد وابن المبارك والثوري: هم أصحاب محمد صلى اله عليه وسلم، وقال ابن مسعود: من كان مَستنا فليستنّ بمن قد مات أولئك.. السلام.

كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوبا وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضائلهم واتبعوهم في أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرتهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

هذه صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الله تعالى، وقد امتدح من أتبعهم بإحسان واستغفر لهم، وهذه مقالة ابن مسعود فيهم وهو من جلتهم، أمر فيها أصحابه - وهم كبار التابعين - بالاستنان بسنتهم وأتباع آثارهم والتمسك بأخلاقهم وسيرهم.

وقد روى ابن القاسم عن مالك أن عمر بن عبد العزيز قال: سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سُنناً الأخذُ بها أتباع لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوةٌ على دين الله، من اهتدى بها مُهتدٍ ومن (استنَّ بها) منصور ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً. قال مالك: أعجبني (حكم) عمر في ذلك فقال.. في سنن النبي عليه السلام وسنن الخلفاء الراشدين بعده..

قال اقتدوا بالراشدين من بعدي أبي بكر وعمر ترشدوا.

وابن حزم يرى مزية لهم عليه ويصرح أنه لا يجب أتباعهم ولا يلزم أحداً سنتهم، ورأى المذهب المبتدع الذي صار إليه وعوّل في آخر عُمُره عليه، أهلا للتقليد فيه والاقتداء به، واستحسن ما قال، وأعجبَ بما زَخْرفَ من المُحال.

---

(١) ما بعد هذا تعليق من طرف ابن سهل على كلام ابن أبي زيد، ويقصد به ابن جزم وأتباعه.

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٣) سورة النمل آية ٥٩.

wadod.org

وقد كان يجب استتابة هذه الطائفة الحائدة عن سَنَنِ الجماعة ووعيدهم بالنَّكال حتى يرجعوا عن مذهبهم ويقرُّوا بالخطأ في قولهم، إذ فيما انتحلوه وابتدعوه إيهامُ الجُهَّال بأن السلف الصالح عدلوا عن الكتاب والسنة إلى غيرهما، إزراءً عليهم وإضافة للتقصير إليهم، ولو لم يرد أمرٌ بالاقتداء بهم ولا حَمْلٌ على تعظيمهم، والثناء عليهم والتفضيل لهم، لأدْرَكَ ذلك عقلاً، ونظراً، والله يوفق لهذا من يشاء.

وروينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَحْملُ هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

قال[١]. . ناقليه. . . أتباع الأنبياء في كل زمان. يُريدُ: والراسخين في كل عصر و(حين) الذين ينفون عن العلم التحريف وسوء التأويل، وكلامهم غير مسموع ولا مقبول كما قال هذا المخذول، لأن تكلفهم ذلك كان يكون عناءً يُخلى منه بطائل، وكان يكون قولُ الرسول صلى الله عليه وسلم لغواً لا فائدة فيه. . «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى[٢]».

نعوذ بالله من اعتقاد هذا والقول به، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المدينة مُهاجري وبها موضع قبري (. .) وأهلها جيراني فحق على جميع أمتي حفظ جيراني. .».

طينة الخبال. ولا مرية عند عاقلٍ في أن من أطلق عليهم «أنهم غير قدوة لمن أتى بعدهم وأن ما قالوه ليس سُنة يلزمُ خَلَفهم وأنه لا يجوز لعامتي تقليد واحدٍ منهم»، غير مُوفيهم حقهم ولا حافظ حرمة الرسول فيهم، فكيف بمن زاد إلى تبديعهم وتجهيلهم كما فعل ابن حزم - على ما نورده عنه بعد هذا وغيره - نسأل الله العصمة ونعوذ به من الخذلان ونزغ الشيطان.

وقال ابن أبي زيد في كتاب «الأمر بالاقتداء والنهي عن الشذوذ عن العلماء[٣]»: ونحن نستغني أن ننبه من فضائل سلفنا على ما هو كالشمس في ظهوره، وكذلك في الإطناب بذكر فريضة الاقتداء بهم، واقتفاء آثارهم وتنزيههم وتوقيرهم، وذلك مما لا يتسع جَهلُهُ مِن عهد الإسلام، لقد قيل لمالك: «الرجل يقول قال الفاروق كذا. قال علي كذا، فيعارضه آخر ويردُّ عليه، فيقول: قال النخعي كذا قال الشعبي كذا» قال: أرى أن يُستتاب.

قال عيسى بن سهل: يريد فإن تاب وترك هذا ورجع عنه وإلا أُدِبَ وسُجِنَ حتى يرجع عنه.

وذكر مالك في الموطأ[٤]: «أن رجلاً سأل أبا موسى الأشعري فقال: إني مَصِصْتُ عن امرأتي من ثديها لبناً فذهب في بطني، فقال أبو موسى ما أراها إلا وقد حرمتْ عليك. فقال

---

(١) لعل هذا القائل هو ابن حزم دليل ذلك رد ابن سهل فيما بعد.

(٢) سورة النجم، آية ٣، ٤.

(٣) هذا كتاب مفقود لابن أبي زيد القيرواني وقد ذكره ابن خير في فهرسته ص: ٢١١ وغيرها.

(٤) كتاب الموطأ: ما جاء في الرضاعة بعد الكِبَر حديث ١٧٧٧ (كتاب الرضاع). ومنه أتممنا بعض النقص الذي في المخطوط، الذي سبّبته الخروم.

wadod.org

عبد الله بن مسعود: انظر ما تفتي به الرجل، فقال أبو موسى: فما تقول أنت؟ فقال عبد الله بن مسعود لا رضا(عة) إلا ما كان في الحولين. فقال أبو موسى لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الحبر بين أظهركم».

هذا القول الفصل والإنصاف الحسن الذي ليس في حُسنه خلاف لا المحال والضلال الذي شرعه ابن حزم واشياعُه الضلال/ . . (وفي كتاب النكاح من الموطأ[١]: حدثني مالك عن غير واحد أن) عبد الله بن مسعود استفتى وهو (باكوفة) عن نكاح الأم (بعد الابنة) فأرخص في ذلك، ثم إن ابن مسعود قدم المدينة فسأل عن ذلك فأخبر أنه ليس كما قال، وإنما (الشرط) في الربائب، فرجع ابن مسعود إلى الكوفة (فلم يصل إلى منزله) حتى أتى الرجلَ الذي أفتاه بذلك فأمره أن يفارق امرأته. وفي الصلاة من الموطأ: مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب: أن أبا موسى الأشعري أتى عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: لقد شق (علي) اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرٍ إني لأعظم أن (استقبلك) به. قالت: ما هو؟ ما كُنتَ سائلاً عنه أمك فسلني عنه (فقال): «الرجل يصيب أهله ثم يُكسل ولا يُنزل. فقالت: إذا جاوز الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل. فقال أبو موسى الأشعري: لا أسأل عن هذا أحداً بعدك أبداً[٢]».

فهؤلاء كبار الصحابة رضي الله عنهم، قد قنع بعضهم بقول بعض ورجح بعضهم إلى فتوى بعض، ولم يطلب على ذلك منه شاهداً أو دليلاً، إنصافاً منه له وقناعة بجوابه ورضىً بكلامه، وهم ذووا الاستنباط والحُلوم، ومِنَ العِلْمِ والدين بالمكان المعلوم، وهكذا فصل من إئتمّ بهم ممن أتى بعدهم، والكتابُ يطول بذكر ذلك واستقصائه. ومن أنصف أقرَّ بفضل غيره واعترف، وابن حزم لا كثر الله من أمثاله، يدفع أحد كلامه قولُ واحدٍ منهم، وينتفي من الرجوع. . إلى أقوالهم وتأويلهم وأفعالهم.

وفي كتاب فضائل مالك. . . . .

قال أبو زرعة عبد الرحمن بن (عمرو)، قلت لأحمد بن حنبل: مالك أفقه أم الأوزاعي؟ قال: مالك. قلت فمالك أفقه أم الثوري؟ قال: مالك قلت أمالك أفقه أم الليث بن سعد قال مالك: قلت مالك أفقه أم إبراهيم النخعي قال تعديت.

هذا هو العقل الصحيح والنَبلُ الصريح، فَاضَلَ بين الأكفاء والمتعاصرين وأجلَّ عن ذلك المتقدمين. هذا على قرب العصرين، لأن إبراهيم في منزلة شيوخ مالك، فكيف بمن يُفضل نفسه على جميع من تقدَّمه.

وفي سماع أبي زيد من أبي الغمر عن ابن القاسم في من قال لرجل يا مُرائي ما ترى عليه. قال على قدر ما يرى الإمام، أرأيت لو قال رَجُلٌ (لليث) ابن سعد: يا مرائي، وقال لي مثل ذلك أكنت ترى أن يُضرب الذي قال ذلك لي مثل ما يُضرب الذي قال لليث. وإن من

(١) كتاب النكاح باب ما لا يجوز من نكاح الرجل أم امرأته (حديث ١٥٢٢).
(٢) الموطأ: كتاب الصلاة: واجب الغسل إذا التقى الختانان (حديث ١١٥).

wadod.org

الناس ناسا لو قيل لهم ذلك لرأيتهم لذلك أهلا. وقال ابن وهب: «كل صاحب حديث ليس له إمامٌ في الفقه فهو ضالٌ، ولولا أنَّ الله أنقذنا بمالك والليث لضَلَلْنا» وقال مالك: حق على من طلب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية وأن يكون متبعاً لآثار من مضى قبله.

فقد ذكرنا مما يلزم المتأخرين للمتقدمين من العلماء الراسخين ما في بعض مَقْنَعٌ وكفاية لمن ألهمه الله رُشْدَه وعَرَّف قدره.

باب: ذكر تبديع ابن حزم للصحابة والتابعين واستخفافه بجميع أئمة المسلمين.

ألف ابن حزم كتاباً صغيراً نحو عشر ورقات ترجمه بكتاب: «النكت الموجزة في نفي الأمور المحدثة في أصول أحكام الدين، من الرأي والقياس والاستحسان/ والتعليل والتقليد» رأيت منه (نسخة) بقرطبة. .وعلقت منه ما أنا ذاكره الآن. . .

ثم صِرْتُ إلى سبتة في عَشْر السَّبعين، فأظهر إلي بعض من كان يحضر عندي من الطلبة نسخة ـ وقعت إليه ـ منه مسموعة عليه في سنة سبع وثلاثين وأربع مائة، فوقَّفتُه على قبيح ما أتى به ابن حزم فيها، فبان إليه وظهر لَدَيْه وبادر إلى تقطيعها وتمزيقها بحضرة الشاهدين[1].

موارد المقال

١ ـ الكتب المطبوعة:

ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة ٧٤ ـ ١٩٧٦.

ـ إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، للقسطلاني.

ـ أزهار الرياض في أخبار عياض، لشهاب الدين المقري (الجزء: ٤) تحقيق سعيد أعراب وابن تاويت الرباط ١٩٧٨.

ـ أهمية المخطوطات الإسلامية. (أعمال المؤتمر الافتتاحي لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي) لندن (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

ـ برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح، دمشق ١٩٦٢.

ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأحمد بن يحيى الضبي، مدريد ١٨٨٤م.

ـ التبيان للأمير عبد الله بن بلقين تحقيق أمين توفيق الطيبي، الرباط ١٩٩٥.

ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لمحمد بن أحمد بن فرح القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى السبتي (ت ٥٤٤هـ) الجزء الثامن، تحقيق سعيد أعراب، الرباط ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣، (وبآخره ملحق لابن حماده السبتي زاده، عندما اختصر ترتيب المدارك).

ـ التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله ابن الأبار البلنسي القضاعي، تحقيق عبد السلام

(١) هنا انتهى النص الذي قصدنا إلى تحقيقه من بداية الكتاب «التنبيه على شذوذ ابن حزم» للقاضي عيسى بن سهل الأندلسي (ت ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣هـ).

wadod.org

الهراس الدار البيضاء ١٩٩٠.

ـ الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر تأليف محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ) تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، بيروت ١٩٩٩.

ـ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لابن سماك العاملي. تحقيق، سهيل زكار وعبد القادر زمامة. الدار البيضاء ١٩٧٩.

ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن فرحون (ت٧٩٩هـ)، تحقيق: مأمون محيي الدين الجنان. بيروت ١٩٩٦م.

ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. تأليف محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي.

ـ السفر الخامس، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٦.

ـ السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط ١٩٨٤.

ـ رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس (الجزء الثالث)، بيروت ١٩٨٧.

ـ سير أعلام النبلاء لمحمد بن عثمان الذهبي (الجزء ١٩) تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت ١٩٨٤.

ـ شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٠هـ.

ـ الغنية (فهرسة شيوخ القاضي عياض) تأليف عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٢م.

ـ الصلة، لأبي القاسم ابن بشكوال، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٦.

ـ صلة الصلة، لأحمد بن إبراهيم ابن الزبير الغرناطي. (الأقسام ٣ ـ ٤ ـ ٥)، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط ١٩٩٣ ـ ١٩٩٥.

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) إشراف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم: فؤاد عبد الباقي. (طبع دار الفكر، بيروت بدون تاريخ).

ـ فهرسة أبي بكر ابن خير الإشبيلي، تحقيق محمد فؤاد منصور، بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٥م.

ـ فهرس مخطوطات خزانة القرويين، تأليف محمد العابد الفاسي، (الجزء الأول والثاني) الدار البيضاء ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠.

ـ كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج تأليف أحمد بابا التنبكتي (جزان)، تحقيق: محمد مطيع، الرباط ٢٠٠٠م.

ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون تأليف حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد.

ـ مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، لعياض وولده محمد، تحقيق بن شريفة، بيروت ١٩٩٠.

wadod.org

- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تأليف أبي الحسن بن عبد الله البناهي المالقي، تحقيق إليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٤٨م.
- معجم المؤلفين، تأليف عمر رضا كحالة (الجزء الثامن) مكتبة المثنى.
- هدية العارفين، تأليف إسماعيل باشا البغدادي، استانبول ١٩٥١.

٢ - المجلات والدوريات:

- تطوان عدد ٨ سنة ١٩٦٣م (المغرب).
- الذخائر عدد ٥ سنة ٢٠٠١ (لبنان).
- هسبريس تامودا، المجلد ١٤ سنة ١٩٧٣.
- القنطرة (المجلد ٢٢، الجزء الثاني) مدريد سنة ٢٠٠١م، ص ٢٩٩ - ٣٢٠.
- مجلة معهد المخطوطات العربية (الكويت) المجلد ٢٦ سنة ١٩٨٢.

- Estudios onomalstico - Biográficos de Al-Andalus. C.S.I.C Madrid. V,1992, p.229-271. (Manuela Marín: familias de ulemas en Toledo).

٣ - الكتب المخطوطة:

- أجوبة القاضي أبي عبد الله ابن الحاج القرطبي (ت ٥٢٩هـ). مخطوطة مغربية خاصة (جنوب المغرب).
- الإعلام بنوازل الأحكام، لعيسى ابن سهل بالخزانة العامة (الرباط) أرقام: (٣٧٠ أوقاف) + (٨٦ ق) + (٥٥ ق) (D ٣٣٩٨) (D ١٧٢٨)، (١١١ بالخزانة الحمزية).
- اقتضاب السبيل في اختصار أحكام ابن سهل لموسى بن أبي علي الزناتي، بالخزانة العامة بالرباط رقم (٧٤٢ أوقاف).
- التنبيه على شذوذ ابن حزم. تأليف عيسى بن سهل، بالخزانة العامة بالرباط (شريط رقم ٥).
- فهرسة المنتوري القيسي: بالخزانة الحسنية (الرباط) رقم ١٥٧٨.
- الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس لابن حزم مخطوط شستربتي رقم ٣٤٨٢.

wadod.org

قريض عبد الكريم بن العربي بنيس

في كتاب «السير والسلوك إلى مالك الملوك» لقاسم الحلبي الخاني (ت١١٠٩هـ)

تقديم وتحقيق: الأستاذ جواد الرامي(*)

تقديم:

أن نقرض شعراً عن عمل ما عندما ننتهي من قراءته معناه ذورة التأثير والانفعال. قد لا يكفي الانطباع الذوقي في تخليد المتعة والتجاوب الذي يتحقق لحظة تتبع العمل جملة جملة وفصولاً وأبواباً. فكان لا بدَّ من وسيلة تعكس مدى تجاوب المتلقي مع المكتوب، وتدوين ردود الفعل التي أحدثها العمل، وظاهرة التقريض والنظم واردة بوفرة في الكتابات التراثية، لأن القدماء يجدون في الشعر الشكل التعبيري الأكثر قدرة على التعبير عما يجيش بأحاسيس الفرد، ولأن الشعر لغة الإحساس في المقام الأول. لذلك تجد عبد الكريم بنيس (ت١٣٥٠هـ) في قريضه هذا يوثق انطباعه شعراً بخصوص كتاب «السير والسلوك إلى مالك الملوك» لمؤلفه قاسم الحلبي الخاني (ت١١٠٩هـ)، وهو مخطوط نفيس يحوي من المعارف الصوفية ما يوجب أكثر من وقفة تأملية[١].

وقريض عبد الكريم بنيس بخصوص كتاب قاسم الحلبي الخاني يتضمن العديد من الإشارات والإضاءات النيرة، التي تلزم القارىء بضرورة العودة إلى المتن الصوفي واستيعابه والعمل على تفكيكه وإبراز خفاياه. وليس أمر اعتناء عبد الكريم بنيس بالجانب العرفاني أمراً غريباً إذا علمنا أن القارض أخذ العلم من أفواه مشايخ أفذاذ ومحنكين، أمثال الشيخ عبد السلام بوغالب الحسني، والشيخ المهدي بن الحاج، والشيخ المهدي بن الطالب بن سودة، والشيخ محمد بن المدني كنون... وغيرهم من الأشياخ وأعلام المغرب، وقد يعزى سبب نظمه لقريضه هذا إلى عاملين أساسيين:

---

* باحث من مكناس ـ المغرب.

(١) انظر ترجمة حياته في موسوعة أعلام المغرب «تنسيق وتحقيق محمد حجي»، الجزء الثامن دار الغرب الإسلامي، ص٣٠٠٤.

wadod.org

أولاً ـ تشبعه بسلوك الصوفية ومسالكهم. وإذا علمنا بأنه كان تيجاني الطريقة ومدرساً بزاوية الشيخ أحمد التيجاني اتضح لنا سر نظمه هذا الذي يطمح إلى تقريب مريدي الطريقة من مضمون كتاب «السير والسلوك إلى مالك الملوك»، وتمكينهم من استيعاب شمائله وتحصيل معارفه، حتى تنكشف لهم الأستار عن مخبآت الأسرار[١].

ثانياً ـ قدرته على نظم الشعر، إذ تذكر المصادر أنه «آخر من نظم الشعر على طريق أهل الأندلس مع الإجادة»[٢] وهذا ظاهر في نظمه الذي تطبعه نفحة شاعرية تتجسد من خلال قدرته على المحافظة على جانب الإشارة المشرقة والإيقاع الجمالي، محافظاً في ذلك على وحدة الوزن والقافية، مع حسن التخلص من مبحث إلى آخر، مع تضمين شعره صوراً شعرية تنم عن حس شاعري، كل ذلك يبرر رغبة عبد الكريم بن العربي بنيس في تخليد محاسن الكتاب بدرر من الأشعار، لأنه أيسر حفظاً وأكثر انتشاراً وهو ما عبر عنه قائلاً: «ولما طلع بدر التمام وفاح مسك الختام قلت بحسب الحال شبه ارتجال مقرضاً ومشيراً ومؤرخاً» (المخطوط).

ولهذا تتحدد أهمية هذه المخطوطة الفاسية المطبعة في ثلاثة جوانب:

أ ـ الجانب الفني: والمتعلق بالقيمة الجمالية أي جانب الصناعة فيها، والمتعلق بقدرة الشاعر على استيعاب مضمون كتاب «السير والسلوك إلى مالك الملوك»، وتصريفه شعراً.

ب ـ الجانب الوظيفي وذلك بالإشارة إلى أقسام النفس التي يقدمها لنا كدرس مهم يفيد أصحاب الطريقة الصوفية، ويعتبر حكمة لأهل العلم والعبرة.

جـ ـ الجانب التاريخي ويتعلق بتوثيق أوجه من أوجه تلقي الأعمال الصوفية في مرحلة تاريخية معينة، ومدى العناية بها من لدن أحد أقطاب طريقة صوفية في المغرب «التيجانية»، في ظل حكم المولى عبد العزيز، الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه المولى الحسن بن محمد سنة ١٣١١هـ.

إن قريض عبد الكريم بن العربي بنيس يختزل لب مخطوط «السير والسلوك إلى مالك الملوك» في أبيات شعرية محدودة، يكاد كل بيت أن يكون عبارة عن عنوان لأحد أبواب الكتاب. فمن هو أبو القاسم الخاني هذا؟ وما مضمون كتابه؟

صاحب «السير والسلوك إلى مالك الملوك» (١٠٢٨هـ ـ ١١٠٩هـ):

هو «قاسم بن صلاح الدين الخاني، الحلبي، صوفي، منطقي، متكلم، محدث، أصولي. سافر إلى العراق والحجاز وتركيا، وعاد إلى حلب، فولي فيها الإفتاء إلى أن توفي سنة ١١٠٩هـ. من تصانيفه:

ـ التحقيق في الرد على الزنديق.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

wadod.org

- السير والسلوك إلى مالك الملوك.
- رسالة في مصطلح الحديث.
- رسالة في المنطق.
- «شرح على الجزرية» في التجويد[١].

مضمون كتاب «السير والسلوك إلى مالك الملوك»:

لعله من دواعي كتابة هذه الرسالة هو تجلية الطريق لكل مريد تملكه شوق السفر، وشد العزم تاركاً لذات الدنيا زاهداً فيها، يقول أبو القاسم الخاني: «كتبت هذه الرسالة وبينت فيها كيفية السلوك وأحوال السالكين والمسلك، وما يحتاج إليه السالك في قطع الطريق والوصول إلى التحقيق، لينقطع أعذار المقصرين، وتزداد همم الراغبين في السير لرب العالمين»[٢]، ولطريق الصوفية مسالك يقطعونها واحدة واحدة «إلى أن يصلوا آخرها، فينقطع السلوك ولا تنقطع التجليات لأنها لا آخر لها»[٣] تماماً كشأن المسافر الذي يقطع مراحل الطريق زاده التقوى وراحلته الهمة ورفقاؤه في السفر هم إخوانه، ومن سلاح يرهب به الشيطان والنفس[٤]، ولا بدّ للسالك أن يمر في سفره على محطات ومقامات مشهورة، يحددها صاحب المخطوط في سبعة، يمكن إجمالها في الخطاطة التالية:

المقامات	تسمّي النفس فيه	تدرج الحجب
مقامات ظلمات الأغيار	النفس الأمارة	محجوب بالأغيار عن مشاهدة الأنوار
مقام الأنوار	النفس اللوامة	محجوب بالأنوار عن الأسرار
مقام الأسرار	النفس المهملة	محجوب بالأسرار عن الكمال
مقام الكمال	النفس المطمئنة	محجوب بالكمال عن الوصال
مقام الوصال	النفس الراضية	محجوب بالوصال عن تجليات الأفعال
مقام تجليات الأفعال	النفس المرضية	محجوب بتجليات الأفعال عن تجليات الأسماء
مقام تجليات الصفات	النفس الكاملة	محجوب بتجليات الأسماء والصفات عن تجلي الذات

(١) انظر «معجم المؤلفين» عمر رضا كحالة، الجزء الثامن، ص١٠٤، وانظر أيضاً «الأعلام» خير الدين الزركلي، الجزء السادس، الطبعة الثانية، ص١١.

(٢) انظر مخطوط المطبعة الفاسية «السير والسلوك إلى مالك الملوك» لقاسم الحلبي الخاني.

(٣) المصدر نفسه، ص٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٣.

wadod.org

ولكي يعلم السالك في أي مقام هو ذكر صاحب الكتاب أو صاف النفس، «لأن كل نفس من النفوس لها صفات وسير وعالم وحال وارد»[١] متى التزم بها السالك أكرمه الله بما يستعين به على قطع الطريق حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال.

هذه بإيجاز صورة مصغرة أتمنى أن تكون قد قربت القارىء من مضمون المخطوط ومن مزاياه المعرفية:

تحقيق قريض عبد الكريم بن العربي بنيس

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

نحمدك يا من أطلع شمس المعرفة في سماء قلوب ذوي البصائر، وحلّى جيد الزمان بعقود يواقيت أسرار الدفاتر. ونهج للسير والسلوك إلى مالك الملوك منهاجاً فسيحاً قويماً. وصراطاً محفوفاً بأنوار الرسالة مستقيماً، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد واسطة عقد نظام الأكوان، المنتخب من خلاصة أماجيد ولد عدنان[٢] وعلى آله الأطهار وجملة الصحب والأتباع والأنصار.

وبعد فيقول مصححه بحسب الوسع والطاقة بدءاً وعوداً العبد الفقير البئيس عبد الكريم بن العربي بنيس[٣] كان الله له ولياً وبه حفيا: تم بحمد الله وحسن عونه وشامل يمنه ومَنّه طبع هذا التأليف المسمى بالسير والسلوك إلى مالك الملوك، لمؤلفه سيدنا الشيخ العارف بربه سيدي قاسم الحلبي الخاني[٤] قدس الله سره وأجزل مثوبته وبره. فيا له من مصنف ما أبدع معناه وأوسع في المعارف مبناه. لم ينسج ناسج على منواله. نفعنا الله به وبأقواله، في ظل السلطان بن السلطان أمير المؤمنين مولانا عبد العزيز[٥] بن مولانا الحسن[٦] أطال الله بقاءه، وخلد في سلم المعالي ارتقاءه، على ذمة الشريف البركة العظمى، والفرع الطاهر الزكي الأسمى، مولانا عبد الله بن مولانا عبد السلام التهامي الوزاني الإدريسي الحسني زاد الله في معناه، ومنحه من السر أسناه، وجزاه بسعيه الجميل أجراً جزيلاً، وكان لنا وله بخاتمة الخير كفيلاً، بمطبعة المعلم العربي الأزرق، بتاريخ عشرة شعبان الأبرك، سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف، من هجرة مَنْ كان على أكمل وصف، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. ولما طلع بدر التمام وفاح مسك الختام قلت بحسب الحال شبه ارتجال مقرضاً

---

(١) المصدر نفسه، ص٥.

(٢) إشارة إلى عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم، وعنه تتفرع أنساب العرب، ينسب إليه أهل الحجاز أولاً، ثم انتشرت بطون عدنان في تهامة ونجد، والعراق، ثم اليمن.

(٣) انظر حياته في موسوعة أعلام المغرب، ص٣٠٠٤.

(٤) انظر حياته في «الأعلام» للزركلي، ص١١، و«معجم المؤلفين» كحالة، ص١٠٤.

(٥) تولى الحكم في المغرب بعد وفاة والده السلطان المولى الحسن بن محمد سنة ١٣١١هـ.

(٦) لما توفي السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن بويع نجله المولى الحسن بن محمد سنة ١٢٩٠هـ.

wadod.org

ومشيراً ومؤرخاً:

[من البسيط]

نهج السلوك إلى مولاك قد وضحا ... فتابع الشرع واصحب في الرجا وضحا
والنهي دع وافعل المأمور ممتثلا ... وجانب الرأي واسمع من فتى نصحا
فللشريعة نور يستضاء به ... من حاد عنه ففي القيامة افتضحا
والزهد في لذة الدنيا وزخرفها ... رأس الفلاح غدا يفوز من سمحا
والزم طريقة قوم من يصاحبهم ... بنية وتقى وطاعة ربحا[1]
هم الرجال حووا لب الشريعة مع ... يسر الحقيقة فاختصّوا بما انقرحا
إذ بينوا حجباً سبعين مبعدة ... للعبد عن ربه لما لها جنحا[2]
من ظلمة ثم نور والطريق إلى ... تمزيقها شرعوا فاستنصح النصحا
والنفس واحدة بالذات جوهرة ... من عالم الأمر في غيب لها انفسخا
قد حملت بعد عرض للأمانة من ... ظلم وجهل بليغ أكسبا منحا
تزكو وتخبث من أوصافها فإذا ... ما رمت تقسيمها فاسمع لها اتصحا
فإن بغت وأتت ما تشتهي ودعت ... للسوء والحكم منها بالهوى رجحا
فتلك أمارة بالسوء دَيْدَنُها ... سجن الطبيعة تقفو كل ما سنحا[3]
أما إذا سكنت تحت الأوامر من ... تكالف الشرع واعتادت بها مرحا
وأذعنت لاتباع الحق وهي بها ... ميل فلوامة تأبى الذي قبحا[4]
فإن يزل فيلها وعارضت ورمت ... بشهوة وصبت للخير مذ نفحا
وزاد ذا الميل عن ذي الدار مرتقياً ... لعالم القدس شوقا أنتج الفرحا
وقد تلقت من الإلهام وارده ... فتلك ملهمة وأمرها انشرحا[5]
أما إذا سكن اضطرابها فنفى ... عنها لذي الشهوة الحكم الذي كفحا
فمطمئنة ادعُها وقد نسبت ... كل اشتهاء لها وميلها انطرحا[6]
أما المقامات إن تسقط وقد محق ... المقام منها إيرادات لها ومحا

---

(١) إشارة إلى المتصوفة.

(٢) إشارة إلى قول صاحب «السير والسلوك إلى مالك الملوك»: «واعلم أن بين العبد وربه سبعين حجاباً من ظلمة ونور، كما جاء في الحديث الشريف»، ص٤.

(٣) إشارة إلى النفس الأمارة والتي خصها أبو القاسم الخاني في مخطوطة بباب مستقل، انظر الباب الرابع.

(٤) إشارة إلى النفس اللوامة، انظر الباب الخامس والمعنون «ب» في بيان النفس اللوامة ومحاسنها وقبائحها وصفاتها.

(٥) إشارة إلى النفس المهملة وهو الباب السادس من المرجع السابق.

(٦) إشارة إلى النفس المطمئنة، انظر الباب السابع في المرجع السابق والمعنون «ب» في بيان النفس المطمئنة وما فيها من الكمال بالنسبة إلى ما دونها من النفوس.

wadod.org

فتلك راضية بحكم كل قضا ... ولا اعتراض ولا حزنا ولا فرحا[١]
وإن ترقى بها حال فمرضية ... عند العبيد وعند من لها منحا[٢]
أما إذا رجعت بأمر خالقها ... إلى العباد لإرشاد بها صلحا
فهي التي كَمُلَتْ وكَمَّلَتْ وسَمَتْ ... وحازت الرتب العليا كشمس ضحا[٣]
فاجهد أخَيَّ لتحصيل الكمال ولا ... تطمح لفان فأحسس بالذي طمحا
واصحب بجمعك من بجمعه جمع ... الوصف الرفيع وفي بحر الهوى سبحا
كالقاسم الحلبي الخاني بجامعه ... سير السلوك بعرفان له صدحا[٤]
لقد حوى دراً حَلَّى بها غرراً ... حَلَّى بها قمراً في حضرة النصحا
وقد تكامل طبعاً راق منظره ... ورقَّ وسماً وختماً حسنه فضحا
وقال تاريخه سير السلوك إلى ... مولى الملوك بإكمال له مدحا
يا زاعماً أنَّ طرق القوم عافية ... جبناً فجنّ بروح الله ما برحا
وافق نبي الهدى والزم حماه فها ... نهج السلوك إلى مولاك قد وضحا
عليه أزكى صلاة الله ما بزغت ... شمس الحقيقة من قلب زكي فصحا
والآل والصحب والأنصار قاطبة ... مقرونة بسلام طيبه نفحا

(١) إشارة إلى النفس الراضية، انظر الباب الثامن من المرجع السابق.
(٢) إشارة إلى النفس المرضية، انظر الباب التاسع المعنون «ب» في بيان النفس المرضية وعجائبها.
(٣) إشارة إلى النفس الكاملة وقربها وعبوديتها وهو عنوان الباب العاشر والأخير من المخطوط.
(٤) إشارة إلى مؤلف المخطوط [أبو القاسم الخاني] وعنوانه «السير والسلوك إلى مالك الملوك».